

أَلْفَجَرُ الصَّادِقُ

في

الرَّدِّ عَلَى مَنْكَرِي التَّوَسُّلِ وَ الْكَرَامَاتِ وَ الْخَوَارِقِ

تأليف

علامة العراق و تابعه بالاجماع و الاتفاق
من هو لكل فضل حاوي جميل نقدي صنفى الزهاوي
و يليه

ضياء الصدور

و يليهما

النقول الشرعية

قد اعنى بطبعة طعة جديدة بالأوفست

مكتبة الخليفة



HAKIKAT KİTÂBEVİ

Darüssefeka Cad. 57 P.K.: 35 34083

Tel: 0212 523 45 56 Fax: 0212 525 59 79

<http://www.hakikatkitabevi.com>

e-mail: bilgi@hakikatkitabevi.com

Fatih-İSTANBUL

2004

أَلْفَجَرُ الصَّادِقُ

في

الردّ على منكري التّوسّل و الكرامات و الخوارق

تأليف

علامة العراق و نابغته بالاجماع و الاتفاق

من هو لكل فضل حاوى حضرة جميل افندى صدقى الزهاوى

قال ذو الادب الواقى معروف افندى الرصاقي

هذا كتاب فيه يتضح الهدى * علنا فتسطع للعقول حقائق

يا ظلمة الشبهات و الكذب انجلي * فلقد بدا للحق فجر صادق

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول-تركيا

ميلادي

هجري شمسي

هجري قمرى

٢٠١٤

١٣٩٢

١٤٣٥

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها الى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل و منا
الشكر الجميل و كذلك جميع كتبنا كل مسلم مأذون بطبعها بشرط جودة الورق و التصحيح

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (خيركم من تعلم القرآن و علمه) و قال ايضا (خذوا العلم من افواه الرجال).

و من لم تتيسر له صحبة الصالحين و جب له ان يذكر كتباً من تأليفات عالم صالح و صاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي و السيد عبد الحكيم الارواصي الشافعي و احمد التيجاني المالكي و يتعلم الدين من هذه الكتب و يسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس و من لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص و يدعي أنه من العلماء الحق و هو من الكاذبين من علماء سوء. و اعلم ان علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأما علماء سوء هم جنود الشياطين.^(١)

(١) لاغير في تعلم علم ما لم يكن يقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج: ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ و المكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلد الأول من المكتوبات للإمام الرباني المجدد للألف الثاني فتس سره

تنبيه: إن كلاً من دعاة المسيحية يسعون الى نشر المسيحية و الصهاينة اليهود يسعون الى نشر الادعاءات الباطلة لاجاماتهم و كهنتها و دار النشر - الحقيقة - في استانول يسعى الى نشر الدين الاسلامي و إعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإعلاء و ازالة الاديان جميعاً فالليب المنصف المتصف بالعلم و الادراك يعي و يفهم الحقيقة و يسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق و يكون سبباً في إنالة الناس كافة السعادة الابدية و ما من خدمة أجل من هذه الخدمة اسديت الى البشرية.

(قال ملتزم طبع هذا الكتاب أحزل الله له عليه الثواب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أيد الحق بالبراهين و الأدلة و أدحض الباطل و جعل حجة أهله دارسة مضمحلة. و الصلاة و السلام على سيدنا محمد المؤيد بقوم الدليل و على آله و صحبه الذين أزهق الله بهداهم الاباطيل (و بعد) فأقول و أنا المفتقر الى رحمة ربي. أحمد بن علي الملبحي الكتبي. قد اطلعت بحمد الله تعالى على ما في هذا الكتاب. فوجدته جامعا من الأدلة ما راق و من البراهين ما طاب و ذلك في تأييد ما ذهب اليه أهل السنة و الجماعة. و تفنيد أباطيل من ضل عن طريقهم فأنكر التوسل و الشفاعة. فهنيئا لمن طالعه متديرا لمعانيه. و اعترف بفضل مؤلفه و تمسك بما فيه.

اذ كل ما فيه نور يستضاء به * و ليس ينكره و الله غير عمي

طوبى لمن هداه نفسه ارتدعت * عن اعتقاد يفود النفس للندم

كتاب ادحض بما حواه من الأدلة و البراهين القوية. معارضة من حاد عن السنة و تمسك بما عن له من الاضاليل الوهمية. كيف لا و هو تأليف نابغة هذا الزمان. من تفرد فيه على معاصريه بحسن البيان. رب الفضائل التي لا تضاهي. و القواضل العديدة التي لا تنهاى. الاستاذ الذى هو لأحسن الكمالات حاوى. سيدى الشيخ (جميل افندي صدقي الزهاوى).

رجل الفصاحة و البلاغة من له * في عصره فضل على الاقران

أنعم به و بما حواه كتابه * من خير علم نافع و معان

فجزاه عن دين الرسول الله * خير الجزاء بجنة الرضوان

هذا و اني أطلب ممن أمر العباد بدعائه. متوسلا اليه برسله الكرام و انبيائه أن ينفع بهذا الكتاب من وقف عليه. و عمل بما فيه و نظر بالاستحسان اليه و أن يكثر من أمثال مؤلفه الفاضل في جميع البقاع. لتستنير الامة بمعارفهم التي يحصل لها بها كمال الانتفاع. و أن يوفقنا لمثل هذا العمل الجليل. و لا يحرمنا عليه الثواب الجميل و الاجر

الجزيل. يوم لا ينفع مال و لا بنون و لا صديق حميم. الا من عمل صالحا و اتى الله بقلب سليم. بجاه من ختم به الرسالة و نظر اليه بعين العناية سيدنا محمد عليه صلاة الله و سلامه في البداية و النهاية.

كتبه احمد علي المليحي الكتي بمصر

٩ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ. [١٩٠٥ م.]

الزهاوي (جميل صدقي): (١٢٧٩-١٣٥٤ هـ.)

[١٨٦٣-١٩٣٦] من علماء العراق

درس العقائد الاسلامية في استنبول

تنقل في وظائف الحكومة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعلى الحق و نصر أصحابه. و دحض الباطل و خذل أحزابه و الصلاة و السلام على من أنزل تعالى عليه كتابه. و جعله وسيلة لمن طلب غفرانه و رجا ثوابه. و شفيعا لمن فرط في جنبه فخاف عقابه. و على اله و صحبه الذين اتبعوا سنته و آدابه. و نابوا بعده في نصر هذا الدين منابه (و بعد) فقد قال النبي صلى الله عليه و سلم (ستفترق أمتي ثلاثا و سبعين فرقة كلها في النار الا واحدة) فكان الأمر كما قال الصادق الأمين. عليه صلوات رب العالمين. فقد افتقرت هذه الأمة فرقا شتى خالف أكثرها ما جاء به الله و رسوله و مرق غالبها عن سنن الدين. و حاد عن محبة اليقين. و لكن الفرقة الناجية هي التي اتبعت كتاب الله تعالى و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و ثبتت على الصراط السوي و المنهج الحنيفي. غير طائشة فيه و لا مارقة عنه و من آخر تلك الفرق الهالكة و أعداها للدين. و أشقها لعصا المسلمين. الفرقة الوهابية التي ما زالت منذ نشأتها الى هذا اليوم تدأب في الغي متلاعبة في الدين. خارجة وقتا بعد آخر على ولاية المسلمين لما تزعمه من أن من خالفها من الأمة الاسلامية واقع في شرك الشرك يجب عليها يزعمها الفاسد و معتقدها الباطل قتاله و الجهاد معه حتى

يؤب الى بدعتها و هي كلما بغت ردت الدولة المؤيدة كيدها في نحرها. و أطأت شرر شرها. و ها هي اليوم قد رفعت راية عصيانها. و تجاهرت بوخيم عدوانها. حتى أرسلت الدولة العلية. أيدها رب البرية. كتيبة حضراء من مؤيدي عساكرها تدمروا الجماعة تلك الفئة الباغية و قطعوا لدابرها.

و قد هممت مستعينا بالله تعالى و مستمداً من روحانية نبيه الأكرم أن أكتب في رسالتي هذه ما يكفل رد شبهها الباطلة و يضمن دفع اعتراضاتها الواهية و يكشف زيف عقائدها الزائفة. فيفتر عن بطلان دعاويها الفارغة. بإيراد حجج بالغة. و بسط دلائل دامغة. تبيننا لجهالتها و كشفا لعورتها لكي يحذرها المسلمون. و لا يقع في حباله اغوائها الجاهلون. فقد شاهدت في بغداد من لا يزال مروجاً لهذا المذهب الباطل زاعماً أنه من أهل العلم و هو لعمر الحق بمعزل عنه و أجدر به و بأشياعه المروجين لمذهبه أن رماهم الله تعالى بخزي الدنيا قبل خزي الآخرة تجاه عدائهم للدين المبين. و خليفة الرسول الامين ليكونوا عبرة للمعتبرين.

(يلدن)

سلام اليرايا في كلاءة فرق * (يلدن) لا يغفو و لا يتغيب

و ان أمير المؤمنين لو ابل * من الغوث منهل على الخلق صيب

شيد اللهم ذلك القصر المنيف الذي هو عرين أسدك الغالب. و مقر خليفتك الذي أنطت به قضاء الحوائج و المطالب. ذلك القصر الذي هو المقصد الأسنى و الملجأ الاعلى قد قر فيه بالاجلال. و تبوأه بالاقبال. امام الامة الاسلامية على الاطلاق. و حامى بيضة الملة الخنيفية في الآفاق. حجة الله البالغة في أرضه. القائم بأمر الدين في أداء نقله و فرضه. لا زالت أوامره السنية شرعة للحق و منهاجا. و عزائمه الهمايونية في سماء المعالي سراجاً وهاجاً. و الامم على اختلافها داخله في دين طاعته أفواجا. و احفظ اللهم ذلك الحصن الحصين بواقية عنايتك. و احرسه بكل حراستك و حمايتك. و ارعه بواقي حرك و كافي رعايتك. و أدمه للصادقين مصدر مشويات. و للمارقين منشأ عقوبات. ذلك الملجأ الذي من وفد اليه بالصدقة عاد ناجحاً مسروراً و من حاد عنه بالخيانة رجع خاسئاً مدحوراً. ألا و هو المتبوء الذي حل فيه بالاجلال حبيب الامة

الاسلامية و طبيعتها. و مسعدها الوحيد الذي اذا دعتة لمة فهو مجيبها. أحنى به مفخر آل عثمان الاقلس. و طراز عصابتها الانفس الخليفة الاعظم ابن أعظم الخلفاء. الذين هم كواكب السعور في أرض حسدتها عليهم نجوم السماء. ملوك انتظموا في الزمان عقدا فريدا. فزينوا بمآثرهم الدينية نورا منه و جيدا. من كل مجاهد حيرت يد التاريخ بالفخر أنباء فتوحاته. و غاز في الدين توجت بالنصر على معاقل الاعداء خوفا في راياته.

سما بك يا (عبد الحميد)^(١) أبوة * ثلاثون حضار الجلالة غيب
قيصر احيانا خلائف تارة * خواقين طورا و الفخار المقلب
نجوم سعور الملك أقمار زهوه * لو ان النجوم الزهر يجمعها أب
هم الشمس لم تبرح سموات عزها * و فينا ضحاها و الشعاع المحب

الإمامة الكبرى

الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين و الدنيا لشخص من الأشخاص رجح هذا التعريف جماعة من العلماء و اعترض عليه بأنه غير مانع لشموله النبوة و الاولى أن يقال هي خلافة الرسول عليه الصلاة و السلام في اقامة الدين و قضاء مصالح الدنيا و تدبير شؤونها بحيث يجب اتباعه على كافة الامة.

لا يشترط في الإمام كونه معصوما و لا علويا و لا قرشيا خلافا لبعض الفرق لنا أما عقلا فان الامامة على كلا تعريفها المارين عامة فلا معنى لاختصاصها بقریش و الا كان احتضاما لحق القسم الاكبر من المسلمين و قد جعلهم الاسلام اخوانا و ساوى بين افرادهم حتى في أحقر الامور فكيف في هذا الامر الجليل و المطلب الاهم قال تعالى (أَلَمْ يَأْمُرِ الْمَوْءُونُ إِخْوَةً * الحجرات: ١٠) و هذه الاخوة دينية و دنيوية و هي لا تتم الا بتساويهم فيما لهم و ما عليهم من الحقوق و أيضا فمن الواضح البين أن الامامة خلافة و نيابة عن النبوة فكما ان النبوة عامة في البشر لم يخصها الله تعالى بصنف من الناس دون آخرين كذلك الامامة لا تختص بقوم من المسلمين دون غيرهم منهم الا أن الفرق كما تراه في التمثيل هو كون النبوة تعم كافة صنوف البشر و الامامة تعم كافة أقوام

(١) خليفة المسلمين عبد الحميد خان الثاني توفى سنة ١٣٣٦ هـ. [١٩١٨ م] في استنبول

المسلمين و أما نقلا بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ * النساء: ٥٩) و المقصود بقوله أولى الامر هم الامراء و العلماء كما سنقرره فيما يأتي و الخطاب في قوله منكم عام لكافة المؤمنين بدليل قوله (يا أيها الذين آمنوا) و في هذه الآية سر آخر و هو أنه لما كان بين طاعة الله و طاعة رسوله فرق من حيث أن الله تعالى خالق و الرسول مخلوق أعاد سبحانه الامر فقال تعالى أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و في التأكيد المفهوم من هذا التكرار رمز الى هذا الفرق فكانه جلّ جلاله قال أطيعوا رسولي كما تطيعوني و لا تنظروا الى الفرق بين الخالق و المخلوق و لكن لما لم يكن بين الرسول و أولى الأمر فرق من حيث المخلوقية و كان أولوا الامر خلفاء الرسول و نوابه على المسلمين كانت طاعتهم عين طاعته من كل وجه و لذلك لم يعد جلّ جلاله الامر فلم يقل و أطيعوا أولى الامر منكم كما قال و أطيعوا الرسول و من الأدلة السمعية قوله عليه الصلاة و السلام (السمع و الطاعة و لو عبدا حبشيا) فانه يدل صريحا على ان الامام لا يجب ان يكون قرشيا قال المخالفون هذا الحديث فيمن أمره الامام على سرية أو ناحية و يجب حمله على هذا دفعا للتعارض بينه و بين الاجماع و لكونه مخالفا لحديث (الأئمة من قريش) فنقول في الجواب أما كون الحديث فيمن أمره الامام على سرية أو ناحية فمخالف لما في ظاهر الحديث من العموم و أما الاجماع فغير مسلم كيف و قد تأمر في القرون الغابرة كثير من الخلفاء و لم يكونوا قرشيين بدون انكار احد من علماء وقتهم عليهم بل كان الاجماع حينئذ على امامتهم و أما قول المخالفين ان المقصود بالاجماع هو اجماع الصدر الاول من المسلمين فتحكم و تخصص بدون تخصص كيف لا ولو لم يكن الاجماع في كل عصر لما انحسم ما يحدث كل يوم من مهام الامور بحسب تجدد الزمان مما لم يصرح بحكمه في الكتاب و السنة.

و أما حديث الأئمة من قريش فلفظه على الاصح ان هذا الامر في قريش ما أطاعوا الله و استقاموا كما ذكره محمد بن اسحاق^(١) في كتابه الكبير عند ذكره قصة سقيفة بني ساعدة ففي هذا الحديث قد أخبر صلى الله عليه و سلم أن الخلافة دائمة في قريش ما داموا على طاعة الله و استمروا على الإستقامة و مفهومه أنهم عند عدم

(١) محمد بن اسحاق امام الائمة توفى سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في نيشابور

استقامتهم ينقلها الله تعالى منهم الى من هم أحق بها فكان الامر كما أخبر صلى الله عليه و سلم باقيا في قریش ما استقاموا فلما استخفوا بأمر الدين و لم يستقيموا كما حدث في اواخر بني العباس نقله الله تعالى منهم الى بني عثمان لما أقم كانوا أحق به من أولئك المستخفين و أحرص على صيانة دين الله و تنفيذ احكام شريعته و هذا من جملة معجزاته صلى الله عليه و سلم فان في الحديث اخبارا عن المستقبل بما تم فيه على أن حديث السمع و الطاعة و لو عبدا حبشيا مؤيد بما يدل عليه ظاهر الآية من العموم كما مر آنفا بخلاف هذا الحديث اذ ليس له من مؤيد.

طاعة أولى الامر

من كان يؤمن بالنبی محمد * و بما أتى في منزل القرآن
علم اليقين بأنه في دينه * وجبت عليه طاعة السلطان

لا يخفى على من تبصر و أمعن النظر و اتبع الأثر و أذعن للخبر ان نصب الامام واجب ليقوم بمصالح المسلمين كسد الثغور و تجهيز الجيوش و قهر المتغلبة و المتلصصة و قطاع الطريق و زجر متتهكي حرمان الله تعالى و قطع المنازعات الواقعة بين الخصوم و حفظ مصالح الناس الدينية و الدنيوية فلولا الامام الاعظم لما ازدجر الناس عن ركوب المظالم و لا نفذت احكامهم و لا اقيمت حدودهم و قد أجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات و قدموه على دفنه صلى الله عليه و سلم و لم تزل الناس في كل عصر على ذلك و يؤيده ايضا عدة أحاديث منها قوله عليه الصلاة و السلام (من مات و ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) و رب مارق يقول ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا فنحجب ان الله تعالى أمرنا باقامة الدين و لا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان على انفس الناس و أهليهم و أموالهم و منع تعدى بعضهم على بعض و ذلك لا يصح الا مع وجود امام يخافون عقابه. و يرجون ثوابه. و يرجعون اليه و يجتمعون عليه. فاذا لم يأمنوا على أنفسهم لم يمكنهم ان يتفرغوا لاقامة الدين الذي اوجب الله تعالى عليهم اقامته و ما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب.

و كذلك طاعته واجبة عقلا و نقلا أما عقلا فلأن في وجوده حكمة عظيمة و نعمة عميمة. يناط بها العباد. و تحفظ بها البلاد. و يقطع بها العناد و يقوم بها السداد مما أذناه حراسة الرعايا. و سياسة البرايا. و مثل الناس بلا سلطان مثل الحيتان في البحر يزدد الكبير الصغير فمضى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر و لم يستقم لهم معاش لأن الله سبحانه فطر الخلق على حب الانتصاف و عدم الانصاف. فالسلطان في الخليقة قائم برعاية عباد الله و حماية بلاد الله و حراسة دين الله و اقامة حدود الله و حفظ احكام الله و قمع اعداء الله و ان اقامته من حجج الله على وجوده و من دلائله على توحيده فكما لا يتوهم وجود العالم و انتظامه و ما فيه من دقائق الصنعة بغير خالق خلقه و عالم ألقنه و حكيم دبره كذلك لا يمكن استقامة أمور الناس بغير مدبر ينفرد بتدبيرها و ملك يقوم باعبائها و يلم شعنها و كما يستحيل وجود الهين في العالم كذلك لا يجوز وجود سلطانين في مملكة واحدة و ان مثله مثل الراعي و مثل الرعية مثل الغنم فاذا لم يكن للغنم راع يرعاها و ينود عنها عانت بها الذئاب فاكلتها و ان الامام العادل خير من المطر الوابل و لما يزرع الله بالسلطان اكثر مما يزرع بالقرآن.

اذا تبينت هذا فقد اتضح لك ان طاعة السلطان واجبة بصريح العقل اذ لا يتم كونه سلطانا الا بالطاعة على أن انقياد الجماعة لواحد من نوعها يسوسها و ترجع اليه في تدبير شؤونها أمر يكاد يكون طبيعيا يوجد حتى في القبائل المتوحشة بل حتى في الحيوانات كالنحل و النمل لا تعيش بدون ملك تنقاد اليه و تتبعه في حلها و ترحالها و تبجله و تؤثره على نفسها فيما تصيب من الخير فما ظنك بالانسان العاقل المرتقى في مدارج الكمال و التقدم و ان مثل الاسلام و السلطان مثل العمود و الفسطاط فالفسطاط الاسلام و العمود السلطان و الاوتاد الناس و لا يصلح بعضها الا ببعض.

لا يصلح الناس فرضي لا سراة لهم * و لا سراة اذا جهلهم سادوا

و البيت لا يتنى الا له عمد * و لا عماد اذا لم ترس اوتاد

و ان تجمع اوتاد و اعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذي كادوا

و اما وجوب طاعته نقلا فحسبك ما امرنا به الله تعالى في محكم كتابه فقال جل من قائل اطيعوا الله و اطيعوا الرسول واولى الامر منكم قال ابوهريرة رضى الله عنه

لما نزلت هذه الآية امرنا بطاعة الائمة و طاعتهم من طاعة الله و عصياهم من عصيان الله فالمقصود من ولى الامر هو مرء المسلمين كما يقتضيه كلام ابى هريرة رضى الله عنه اما ما ذهب اليه المخالفون من ان المقصود بهم هو العلماء فلا اعتداد به اذ هو متناف لما يدل عليه ما قل هذه الآية الشريفة من قوله تعالى (وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ * النساء ٥٨) قال المخالفون ان الذين يحكمون بين الناس هم العلماء لا غير فرد عليهم ان تقييد الحكم بالعدل صريح في انه ليس من الحكم في المسائل الشرعية التي يراجع فيها العلماء بل هو من الحكم في المطالم والخصومات التي يراجع في حسمها الامراء ويؤيده ما في الآية من العموم المفهوم من قوله تعالى ان تحكموا وكذلك يؤيده العموم الذي في قوله بين الناس فان الامر يكون من رعيته المسلم و الذمي.

و من الادلة النقية على وجوب طاعة السلطان قوله صلى الله عليه و سلم (من فارق الجماعة او خلع يدا من طاعة مات ميتة جاهلية) و قوله عليه الصلاة و السلام (الدين النصيحة الدين النصيحة) قالوا لم يا رسول الله فان الله و لرسوله و لاولى الامر منكم فنصح الامام و طاعته فرض واجب و مر لازم لا يتم الايمان الا به و لا يثبت الاسلام الا عليه و منها حديث اس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (اسمعوا و اطيعوا و ان استعمل عليكم عبد حبشي) و عبد مسلم من حديث ام الحصين (اسمعوا و اطيعوا و لو استعمل عليكم عبد يهودكم بكتاب الله) و لا يخفى ما في قوله عليه الصلاة و السلام عبد من الميالفة في الامر بطاعته و النهى عن شقاقه و مخالفته

الخليفة الاعظم أيده الله

سياسة مولانا الخليفة مخذم * يقل به الامر العسير و يحسم
لقد سعدت امنا بلاد وسيعه * بعدل امير المؤمنين تنظم
له دام محفوظ الجناح مآثر * اضاءت على الآفاق منهم انجم
و قد بعث الله الخليفة رحمة * الى اناس ان الله للناس يرحم
ففي عهده قد اصبح الملك عامرا * نه الامن يزهو و الاماني نسيم

هو الملك البر الرؤف بأمة * انار هداها و الامام المعظم
بيت لحفظ الملك يقضان ساهرا * حريصا عليه و لحوادث نوم
قام به الديان اركان دينه * فليست على رغم العدى تتهدم
و صاغ النهى منه سوار عدالة * به ازدان من خود الحكومة معصم
و كم لاميير المؤمنين مآثر * بمن صنوف الناس تدرى و تعلم
و يشهد حتى الاجني بفضله * فكيف يسئ الظن من هو مسلم
سلام على العهد الحميدى انه * لاسعد عهد في الزمان و اعم
جلد الله ايام السطة الحميدية و البس دولتها احسن لبسها. و جدد ها انس
السعادة حتى لا تخو من نسها. و اعلى سمائها ان تسمو الممم بن بسها و جعل غداها
افضل من يومها و يومها افضل من امسها. و نسخ بسلطانها امر لدول السالفة فلا
يذكر ما اسسته ايام رومها و لا ايام فرسها. و ضاء بوجود ملكها الاعظم سماء اخلافة
فجعلها بمثابة شمسها.

عبد الحميد الامام الحق ما ولدت * ام المعالي له مثلا و لا شبيها
نفديه بالمال و الارواح من منك * تحسن الملك في ايامه و زها
ذل اللهم لحصرته رقاب البلاد و العباد. و اقض لاحسانه و مهابته بملك
القلوب و الاجساد. و اجعل ابواب جلالتة مسجدا لكل محبت و مورد لكل صاد. و
زد ملكه على التهدي زياده لا يأخذ نقصها في الازدياد. و اجر ولاءه في العبادات.
يجرى النية من الاعمال و انظهور من الصلوات. و التسبيح من الاوراد. اللهم ادمه و
اجعل السماء ارضا لجناحه. و لكواكب اترانا للمائز بنثم تراهه. و اصرف الناس بين
حكم سيفه و كتابه و اقرن طاعته بالعمل الصالح الذي يتجمل صاحبه في الدنيا بزية
ثوبه و في الآخرة بحسن ثوابه.

كم له ايده الله تعالى من مآثر فائقة. و بيض نعم متلاحقة. طوق بها اعناق
تبعته الصادقة. مضيفة تحسبها شوسا شارقة. و من نعم اخزى بها الفرق المارقة و قهر
بها الزبادة. ارسدها عليهم صاعقة اثر صاعقة. فاللسن بحمده ناطقة. و الافئدة على
ولائه متوافقة. و القنوب بعدله واثقة. فلو جمعت الاعصار في صعيد واحد لكان هذا

العصر عليها فاحرا. و فز بسبق اوائنها و ان جاء آحرا. و ليس ذلك الا لخطوته بالدولة الحميدية التي كستته حرا. و قلدته دررا. و دونت له في المحامد سيرا. و جعلت في كل ناحية من وجهه شمسا و قمرا.

و ان امام المسلمين لوابل * به الارض تحيا و العباد تنعم
له من جلال الله عز و هبة * و من نصره جندبه البغي يصد
ملاد الوري اكبر به من خليفة * به الملك ما شاء العلى يتقدم

ان من نبد الحسد جانبها و نظر الى لمدك نظر منصف رأى لمعاله في هذا العصر الحميدي قدما و لربوعه عمراننا لم يكن يحلم بهما السلف اما معالم الدين كالساحد فقد ربا ما اشأه و شيده منها في كل بلد من بلاد المسلمين على ما جدد بنيانه بعد الاندراش باصعاف مصاعفة عدد التكايا و الرباطات التي يأوي اليها مشايخ الامة و رهادها و عبادها لاقامة ذكر الله آناء الليل و اطراف النهار و اجرى عليها و على اصحابها جرايات تضمن بقاعها و تكفل حفظ نظامها الى ما شاء الله تعالى.

و من مآثره الحميدة ايدى الله تعالى تأسيس المستشفيات و المارستانات يأوي اليها من عبثت ببدنه الامراض من العرباء و الفقراء اصحاب العاهات من غير نظر الى اختلاف دباغهم و تابعيتهم فترى اذا قدم بلاده المحروسة غريب قد اهكه في سفرته مرض و حد من فضله ملجأ يتحجى اليه و اطباء يداوونه و خداما يخدمونه حتى اذا صح جسده و عاد اليه ذاهب قوته رجع الى بلاده شاكرا. و لما شاهده من الاحسان ذاكرا. ذلك عدا ما شيده من الملاجئ للفقراء و المساكين و الارامل و العاجزين.

و منها احياء معالم العلم بتوفير مدرسه و تشييدها. و تكثير مغارسه و تعديدها. فلا تخلو في عصره عصر العلم و اعرفان بلدة من ابلاذ بل و لا قرية من القرى عن وجود مدارس ينتابها المتعلمون و يتردد اليها المعلمون فيقتبسون من نبراس العلم ما تنور به عقولهم و تمتحى به ظلمات جهلهم و يكتسبون ما يدرهم في أمر المعاش فيتخرجون منها رجالا اكفاء قد حكمتهم يد العلم بما يؤهلهم للجهاد في ميدان هذه الحية و كانوا قد دخلوا اليها أطفالا جاهلين لا يحسنون قبلا و لا يعلمون فتिला.

و منها توسيع نطاق التجارة بتكثير مواردها و توفير مصادرها و تعزيز نظامها

المتكفل بصيانة حقوقها و فتح أبواب الصناعة بإنشاء معامل و استحلاب ما تتوقف عليه من الآلات و الأدوات و المهمات و تعميم لزراعة بترغيب أهلها و تعليمهم طرقها الجديدة و احياء المواب من أرضها و اكثار اخراجها الى البلاد الاجنبية فوفرت بذلك ثروة الامة و زاد عنها و تأمين الطرق بقطع دابر أصحاب الشقاء الذين كانوا قبل عهد خلافته يعيشون في السبل فيستلبون أموال العابرين و ينتهون بصائع المتاجرين و ذخائر المزرعين.

و منها اعداد العدد لكفاح المعادين بتشدد المعاقل الرصينة و الحصون الحصينة و تجهيزها بمحولات المدافع الجسيمة و تنظيم الجنود و تكثير عددهم و توفير مهماتهم من النادق التي هي من الطرار الاحير مما يجدر ان يعير عنها بمناجل الارواح تحصدها حصدا و بتأمين نفقاتهم و أرزاقهم في حالتي الحضر و السفر و انشاء البوارج البحرية و الدوارع الحربية و تكثير عددها و اكمال عددها و تجهيرها بالمدافع الضخمة مما راد الاسطول العثماني قوة و مناعة لم تكونا في الحسد و بالجملة فقد بلغت ايوم قوة الدولة المؤيده العثمانية درجة شهدت لها بالتقدم أوروبا و خافت سطوتها كبار الدول حتى أنها لتستطيع ان تحجر الى الحرب ما ينيف على الميونيين من العساكر الباسلة المدربة التي تعطي الحرب حقها فتعرف كيف ترحف الى حومة الوغى و كيف تدير رحاها. و تسعر لظاها و تفتحهم أهواها. و تصرف أحواها. فترجع و الظفر من اتباعها. و النصر من أشيعها. مكللة بالساح. فائزة بالفلاح.

و منها مد لخطوط الحديدية في كثير من ارجاء مملكته لا سيما الخط الحميدي الحجاري الذي شرع بمده ب ست الله الحرام على نفقة حكومته السنية دون ان يكون فيه للاجانب حصص أو سهم تسهيلا به لأداء الحج الذي هو أحد الاركان الاسلامية و اراحة نوبد لله تعالى مما كانوا يكابدونه في طريقهم ليه من مشاق السفر و متاعه ركوبا على ظهور الحمال التي هي أراجيح الراكين و تقصيرا مدة السفر عليهم و تقريبا لمسافته و انها نعم لحق ماثرة كبرى حصه الله تعالى بالنوفين ها دون غيره من الملوك السالمين.

حسبه سكة الحجاز فخارا * انها لم تكن زمان امام

سكة سهلت لنا حج بيت * هو فرض في شرعة الاسلام

و ناهيك به ملكا فاقت فراسته الاولين و أعجرت سياسته السلة الآخرين

حيث نراه حرسه الله سائرا مع الدول الغربية الكبرى. و الحكومات الاجبية الصغرى. على صراط الولاء. و مماشيا لهم في سبيل الوداد و الصفاء مع محافظته صانه الله على حقوق دولته العلية. و مصالح سلطته السية و صوايح رعاياه. المستظيين بظل حماه. و سهره على ما به صيانة الشرف العثماني. و تأييد السودد الخاقاني. حتى اجتمعت ملوك الارض و قياصرها على الاقرار بوفر حكمته و طول باعه في سياسته مراجعين ذاته المقدسة في حل المعضلات و فك المشكلات الى غير ذلك من المميزات التي هي السبب الوحيد لاعلاء السطوة العثمانية بين تلك الممالك و الحكومات.

لسلطاننا عبد الحميد سياسة * طريقته في المعضلات هي المثلى
هو الفاتح المصور و الملك الذي * أعرّ به الله الخلافة و العدل
فيا أيها المولى الذي بكماله * قد اختاره الله العزيز له ظلا
سللت لنصر الدين سيف عزيمة * قللت به ما لم يكن فله سهلا

خزى معاديه

و ان أمير المؤمنين لصارم * به يقهر الله ابغاة و يرغم
و ان الذي بغيا يعاديه لم يكد * من الخزي في الدارين يحو و يسلم
ان من الخصائص التي خص الله تعالى بها خليفته في العاد. و ظله الممسود على
البلاد. تأييده على أعدائه المارقين. و اصداده حوة الدين. بغمسهم في حزى الدنيا قبل
خزي الآخرة و جعلهم مخذولين كلما أرادوا كيدا رد الله تعالى كيدهم في نحورهم و
فضحهم بين الامم بما ألسهم من العار. و كساهم من الشار. (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ
اللَّهِ بِأَقْوَاهِمُ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ * التوبة: ٣٢).

ها ان في الفرقة المارقة الوهابية لعة لأولي الالباب فانها لما سول لها الشيطان
باستحواد. عليها حادت عن الحق وعدلت عن الصراط السوى و زاغت عن طاعة هذه
الدوة الموليدة بالنصر الالهى حتى خذلها الله تعالى وأخذها بعذابه الاليم أحد عزيز مقتدر
(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * هود: ١٠٢).
سذكر انشاء الله تعالى فيما سكتبه من المباحث نشأة هذه الفرقة المارقة و

خلاصه ما تمدهبت به و ادخلته في الدين من الاباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان. و م يقيم عليها دليل و لا برهان. مع الرد عليها بما يدحض فاسد حجتها. و يبين اعوجاج محبتها. فقد نشأ اليوم في بغداد بعض المؤيدين لها من الذين اضلهم الله تعالى حتى استحبوا العمى و شتروا الضلالة بالهدى جاعلين تأييدهم ذلك المذهب الباطل. و ارأي العاقل. ذريعة للرياسة على قوم كالانعام بل هم أضل سبيلا و قد رمى الله تعالى هؤلاء المؤيدين لها بصنوف العاهات. و أنواع الشاعات و فضحهم باخري في الدنيا قبل الآخرة ليكونوا عبرة للمعتبرين و تبصرة للمتفكرين. و لا عرو فان من يهرق عن اجماعة نابذا وراءه طاعة حليقة لله تعالى في أرضه و يمس أحكام دين الله المبين و شريعة رسوله الامين بيد التحريف و التعبير لجدير ان تحل عليه الرزايا و تحيط به البلايا و يصح مثله للاقوام. و ضحكة للانام. مما يصمه الله تعالى به من الخزي الشنيع. و يسمه به من العار الفظيع. عدا ما اعده الله تعالى له من خزي الآخرة و عذاب الاليم و لعذاب الآخرة اشد و بقي.

الرواية و منشأها

الرواية فرقة منسوبة الى محمد بن عبد الوهاب و ابتداء ظهور محمد هذا كان سنة ١١٤٣ و اما اشتهر امره بعد اخصمين فأظهر عقيدته الزائفة في نجد و ساعده على اظهارها محمد بن سعود امير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب بحرا عنها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا فتابعوه و ما زال ينخدع به في هذا الامر حي بعد حي من احياء العرب حتى عمت فتنته و كبرت شهرته و استفحل أمره فخفته البادية و كان يقول للناس ما ادعوكم الا الى التوحيد و ترك الشرك بالله تعالى في عبادته و كانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع له الملك.

أما ولادته فقد كانت سنة ١١١١ و توفي سنة ١٢٠٧ و كان في ابتداء أمره من طلبة العلم يتردد على مكة و المدينة لآخذه عن علمائهما و ممن أخذ عنه في المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي والشيخ محمد حياة اسندي و كان الشيخان المذكوران و غيرهما من المشايخ الذين أخذ عنهم. يتفرسون فيه اغواية و الالحاد ويقولون سيضل الله تعالى هذا و يصل به من أشقاه من عباده فكان الامر كذلك و كذا كان ابوه عبد الوهاب

و هو من العلماء الصالحين يترس في الالحاد و يحذر الناس منه و كذلك اخوه الشيخ سليمان حتى أنه الف كتاب في الرد على ما أحدثه من البدع والعقائد ابرائة و كان محمد هذا بادئ بدئه كما ذكره بعض كبار المؤلفين موبعا معطالعة اخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب و سجاح و الاسود العنسي و طبيعة الاسدي و أصراهم فكان يضم في نفسه دعوى النبوة الا أنه لم يتمكن من اطهارها و كان يسمى جماعته من أهل بلده الانصار و يسمى متابعيه من الخارج المهاجرين و كان يأمر من حج حجة الاسلام قبل اتباعه أن يحج ثانية قائلا ان حجتك الأولى غير مقبولة لانك حججتها و أنت مشرك و يقول لمن اراد أن يدخل في دينه اشهد على نفسك انك كنت كافرا و اشهد على والديك انهما متا كافرين و اشهد على فلان و فلان و يسمى به جماعة من اكابر العلماء الماضين اهم كانوا كفارا فان شهد بذلك قلبه و الا امر بقتله و كان يصرح بتكفير الامة منذ ستمائة سنة و يكفر كل من لا يتبعه و ان كان من أنقى المسلمين و يسميهم مشركين ويستحل دماءهم و أموالهم و يثبت الايمان لمن اتبعه و ان كان من أفسق الناس و كان عليه ما يستحق من الله يتقص النبي صلى الله عليه و سلم كثيرا عبارات مختلفة منها قوله فيه انه (طارش) و هو في لغة اعمامة بمعنى الشخص الذي يرسله أحد الى غيره و لعوام لا يستعملون هذه الكلمة فيمس له حرمة عندهم و منها قوله اني نظرت في قصة الحديدية فوجدت فيها كذا و كذا من الكذب الى غير ذلك من الالفاظ الاستحفاية حتى أن بعض اتباعه يقول بحضرته ان عصاى هذه خير من محمد لاني انتفع بها و محمد قد مات فلم يبق فيه نفع و هو يرضى بكلامه و هذا كما تعلم كفر في المذهب الاربعة ومنها أنه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و يهوى عن ذكرها ليلة الجمعة و عن الجهر بها على المنابر و يعاقب من يفعل ذلك عقابا شديدا حتى انه قتل رجلا أعمى مؤذبا لم ينته عما أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم بعد الأذان و يلس على أتباعه قائلا ان ذلك كله محافظة على التوحيد و كان قد أحرق كثيرا من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم كدلائل الخيرات و غيرها و كذلك أحرق كثيرا من كتب العقيدة و التفسير و الحديث مما هو مخاف لا باطيله و كان يأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه.

تمسك ابن عبد الوهاب في تكفير اناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين و قد روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما في وصف الخوارج أنهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين و في رواية أخرى عن ابن عمر أنه صلى الله عليه و سلم قال (أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه) فهذا و ما قبله صادق على ابن عبد الوهاب و اتساعه و يظهر من أقواله و أفعاله أنه كان يدعي أن ما أتى به دين جديد و لذلك لم يقبل من دين النبي صلى الله عليه و سلم إلا القرآن و قبوله إياه انما كان ظاهرا فقط كيلا يعلم اناس حقيقة أمره و الدليل على ذلك أنه هو و أتباعه كانوا يؤولون القرآن بحسب أهوائهم لا بحسب ما فسرته النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه و السلف الصالح و أئمة التفسير و ما كان يقول باحاديث النبي و أقاويل الصحابة و التابعين و الأئمة المجتهدين. و لا بما استنبطه الأئمة من الكتاب و السنة و لا يأخذ بالاجماع و لا القياس الصحيح و كان يدعي الانتساب الى مذهب الامام احمد كذبا و تسترا و قد رد عليه أصاليه كثير من علماء الحنابلة و ألفوا في ذلك رسائل عديدة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه كما ذكرناه و كان يقول لعلمائه اجتهدوا بحسب بطركم و احكموا بما ترونه مناسبا للدين و لا تتفتوا هذه الكتب المتداوله فان فيها الحق و الباطل و قتل كثير من لعلماء و الصالحين لأنهم لم يوافقوه على ما ابتدعه.

قال العلامة السيد العوي الخداد ان المحقق عبد بن أقواله و أفعاله ما يوجب عروجه عن القواعد الاسلامية لما أنه يستحل امورا مجتمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ و هو مع ذلك يتقص الانبياء و المرسلين. و الاولياء و الصالحين. و انتقاصهم عمدا كفر بالاجماع عند الأئمة الاربعة.

ثم انه صف لابن سعود رسالة سماها (كشف الشبهات عن حائق الارض و السموات) كفر فيها جميع المسلمين و رغم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة و حمل الآيات التي نزلت في الكفار من قریش على اتقياء الامة و اتخذ ابن سعود ما يقوله وسيلة لاتساع الملك و انقياد الأعراب نه فصار ابن عبد الوهاب يدعو الناس الى الدين و يثبت في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء. مشرك بلا مرأى. و من قتل مشركا فقد وحت له الجنة و

كان ابن سعود يمثّل كلما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أحد ماله سارع الى ذلك فكان ابن عبد الوهاب في قومه كالنبي في امته. لا يتركون شيئاً مما يأمرونه ولا يفعلون شيئاً الا بأمره و يعظمونه غاية التعظيم. و يجعلونه غاية التحجيل و ما زالت احياء العرب و قبائلها تطيعه حتى اتسع بذلك ملك ابن سعود و ملك اولاده بعده و حاربه الشريف غالب (رحمه الله) خمس عشرة سنة حتى عجز عن حربه و لم يبق احد الا صار من حزبه و دخل مكة بالصبح سنة ألف و مائتين و عشرين و استمر فيها سبع سنين الى أن جهرت الدولة العلية عساكرها المصورة عليه و وجهت الامر الى وزيرها المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فاتاه بجيوش باسلة و طهر الارض منه و من اتاعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ١٢٣٣ فافنى و اباد من بقى منهم.

ومن قبائح ابن عبد الوهاب الشنيعة انه منع الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعد معه حرج أناس من الاحساء وزاروه صلى الله عليه وسلم فلما رجعو مروا على ابن عبد الوهاب في الدرعية فامر بحق لحاهم واركبهم مقلوبين الى الأحساء. قد احبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في احاديث كثيرة فكانت من اعلام نبوته عليه الصلاة و السلام لان فيها اخباراً بالغية فمنها قوله عليه الصلاة و السلام (الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا) و اشار الى المشرق و قوله صلى الله عليه وسلم (يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه) يعني موضع الوتر «سيماهم التحليق» و في روبة زيادة على ذلك (هم شر الخليفة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله و ليسوا منه في شيء) و قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا يا رسول الله و في نجدنا قال (هناك الزلازل و الفتن و بها يطلع قرن الشيطان) و قوله عليه الصلاة و السلام (يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال سيماهم التحليق) و في قوله عليه الصلاة و السلام سيماهم التحليق تنصيب على هؤلاء لقوم الخارجيين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لاهم كانوا يأمرؤن من اتبعهم أن يحلق رأسه و لا يتركه اذا تبعهم حتى يحلقو رأسه و لم يقع مثل ذلك من احدى الفرق الصالحة ابني مصت

قبلهم و كان ابن عبد الوهاب يأمر خلق رؤس النساء ايضا ممن اتبعنه و في مرة أمر امرأة دخلت في دينه أن تحرق رأسها فقالت له لو أمرت بخلق اللحي للرجال لسأع أن تأمر بخلق رؤس النساء فان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فلم يجد لها جوابا و من الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم (يخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام) و قوله عليه الصلاة و السلام (سيظهر من نجد شيطان تنزلزل جزيرة العرب من فتنه) الى غير ذلك من الاحاديث.

و من قبائح ابن عبد الوهاب حرقه كثيرا من كتب العلم و قتله كثيرا من العلماء و خواص الناس و عوامهم. و استباحة دمائهم و اموالهم. و نبشه لبقبور الاولياء و قد أمر في الاحساء أن تحمل بعض قبورهم محلا لقضاء الحاجة و منع الناس من قراءة دلائل الخيرات و من الروايات و الاذكار و من قراءة المولد الشريف و من الصلاة على النبي عليه الصلاة و السلام في المنائر بعد الأذن و قتل من فعل ذلك و منع الدعاء بعد الصلاة و كان يصرح بكفر المتوصل بالانبياء. و الملائكة و الاولياء. و يزعم أن من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر.

و من اعظم قبائح لوهابية اتباع ابن عبد الوهاب قتلهم الناس حين دخلوا الطائف قتلا عاما حتى استأصلوا الكثير و الصغير. و اودوا بدأمر و الامير. و الشريف و الوصيع. و صاروا يدبحون على صدر الام طفلها الرضيع و وجدوا جماعة بتدارسون القرآن فقتلوه عن آخرهم و لما أبادوا من في البيوت جميعا خرجوا الى الخوانيت و المساجد و قتلوا من فيها و قتلوا الرجل في المسجد و هو راكع أو ساجد حتى افنوا المسلمين في ذلك البلد و لم يبق فيه الا قدر نيف و عشرين رجلا تمنعوا في بيت الفتني بالرصاص ان يصلوهم و جماعة في بيت الفعر فدر المائتين و سبعين قاتلوهم يومهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني و الثالث حتى راسلوهم بالامان مكرا و حديعة فلما دخلوا عبيهم و اخذوا منهم السلاح قتلوهم جميعا و اخرجو غيرهم ايضا بالامان و العهد الى وادي (وج) و تركوهم هنالك في البرد و الثلج حماة عراة مكشوفي السوات هم و نساؤهم من محدرات المسلمين و نهبوا الاموال و النقود و الاثاث و طرحوا الكتب على الطاح و في الارقة و الاسواق تعصف بها الرياح و كان فيها كثير من المصاحف و من

نسح البحاري و مسلم و بقية كتب الحديث و انفق و غير ذلك تبلغ الوفا مؤلفة
فمكنت هذه الكتب اياما و هم يطئونها بأرجلهم و لا يستطيع احد ان يرفع منها ورقة
ثم احربوا البيوت وجعلوها قاعا صفصفا وكان ذلك سنة ١٢١٧.

الوهابية و حديث بغيا

د زعيم الوهابية اليوم هو عبد الرحمن بن فيصل من اولاد محمد بن سعود
الباغي انذي حاد عن طاعة الخلافة العظمى الاسلامية سنة ١٢٠٥ و استمرت له وقائع
مع الشريف غالب الى سنة ١٢٢٠ حتى اذا عجز الشريف عن حربه جهزت الدولة
العلية عليه عساكرها و سطت الامر بوريرها المرحوم محمد علي باشا صاحب مصر و
وبه المرحوم ابراهيم باشا فبادهم سنة ١٢٣٣ كما المعنا اليه في مقالاتنا السابقة مما هو
مستور في كتب التاريخ و عبد لرحم هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريبا اميرا على
الرياض فلما استولى عليها المرحوم امير نجد محمد بن الرشيد هرب عبد الرحمن بن
سعود الى بعض السواحل البحرية و احيرا التجأ الى الكويت و بقي هناك يعيش في فقر
مدقع لا يرحمه احد الى ان عطفت عليه الدولة العلية و أجرت له جراية ازلت ما كان
فيه من لفقر و صار يعيش في ارعد عيش على نفقتها في تلك الديار.

لما توفي محمد بن الرشيد رحمه الله و تأمر مكانه ابن اخيه امير نجد الحالي عبد
العزيز بن متعب بن الرشيد اتفق أن حدثت واقعة بين عبد العزيز المشار اليه و بين شيخ
الكويت مبارك بن صباح و ذلك ان مباركا المذكور كان قد قتل أخاه محمد بن صباح
الذي كان حينئذ قائمقاما من قبل الدولة العلية في الكويت و قتل أخا له آخر ايضا و
عصب اموالا طائلة من ولادها الذين فروا من عقابه ثم ان خال اولئك الاولاد و هو
يوسف بن ابراهيم التجأ الى الامير عبد العزيز بن الرشيد مستصرا بحضرته على مبارك
المذكور لكي يسترد منه ما اغتصبه من أموال ولد اخته فحرت بيته و بين ابن صباح في
ذلك مخاضات آلت اخيرا الى أن جهز كل من الطرفين جيشا على الآخر فتصادما في
موقع يقال له الطرفية فكانت الدائرة على ابن صباح فقتل من جيشه زهاء اربعة آلاف
مقاتل اما مبارك فقد هارباً بنفسه الى الكويت خاسم مدحورا.

لم تمض مدة ان تمرد ابن صباح محتما ببعض الاجانب فساعدوه بالمال و

بالسلاح فاحذ يقوى عبد الرحمن المذكور على الامير ابن الرشيد و اتفق أن كان الامير ابن الرشيد اذ داك مشغولا ببعض لغزوات في اماكن بعيدة عن الرياض فالتهمها ابن صباح فرصة فجهز جيشا تحت امره عبد العزيز بن عبد الرحمن المذكور و ارسله الى الرياض للاستيلاء عليها فاحتلها عمرة و حصنها و احكم سورها فلما بلغ الخبر الامير ابن الرشيد عاد اليها فحاصرها فلما لاجل استرجاعها حتى امتد حصارها سنة ثم حدث له في بعض قائله البعيصة ما صرفه عن حصارها فتركها و انتهز ابن سعود هذه الحادثة فرصة ايضا فاحرج من الرياض جيشا مجهزا بسلاح الاحزاب فاستولى به على عبيزة و بريدة و ما يليهما من بلاد القصيم.

و لما رأت الدولة العلية اعتداء عبد الرحمن هذا و بغيه و تطاوله على صادقها و مخلصها الامير بن الرشيد و نزوع عبد الرحمن الى الاجاب ارسلت كتبية من عساكرها المنصورة صحبة الامير ابن الرشيد لقطع دابر اولئك المارقين و قمع بغيتهم و اعتدائهم و اطفاء شرر فتنتهم المستطير فصادمت العساكر المنصورة الجماعة الباغية حذب ابن سعود قرب بلد البكرية من بلاد القصيم فوقعت بين الجمعين ملحمة كبرى انجلى عن هزيمة الفئة الباغية جماعة ابن سعود و امتلاك العساكر احد عشر راية من راياتهم و قد كان و الحق يقال الحاضرة الامير ابن الرشيد و جيشه في هذه الملحمة عذمة في قمع لاعداء نشكر. و بسالة يخلد ذكرها و لا تنكر. و اما المنهزمون فهم اليوم متحصنون ببعض تلك البلاد و العساكر المنصورة مع جيوش الامير ابن الرشيد محققون بهم. و محدود في تنكيلهم. و كبح جماحهم. وفقهم الله تعالى لذلك.

عقيدة الوهابية

لما رأى ابن عبد الوهاب أن قاطبي بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة لم يراوا على البساطة و السداجة في الفطرة قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلية عندهم مكانة و لا رواج وحد هنالك من فلوهم ما هو صالح لأن يزرع فيه بذور الفساد مما كانت نفسه تززع اليه و تمليه به من قديم الزمان و هو للحصول على رئاسة عظيمة ينالها اسم الدين اذ كان لجاه الله يعتقد أن السوات لم تكن الا رئاسة وصل اليها ذهاة البشر حين ساعدتهم الظروف عليها بين ظهرائي قوم جاهلين لبس لهم

من العدم نصيب و حيث أن الله تعالى قد أرتج باب النورة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه و ستم لم يجد للحصول على أمنيته طريقا بين أولئك الانعام الا أن يدعى أنه مجدد في الدين مجتهد في أحكامه فحمله هذا الامر أن كفر جميع طوائف المسلمين و جعلهم مشركين بل اسوأ حالا و أشد كفرا و صلالا. فعمد الى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى الله عليه و سلم و يستشفعون به الى ربهم نابدا وراء طهره كل ما خالف أمانيه اباطلة و سولته له نفسه الامارة بالسوء من أحاديث سيد المرسلين. و أقوال أئمة الدين و المجتهدين. حتى أنه لما رأى الاجماع مصادما لما ابتدعه أكره من أصله و قال لا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع فأوعى كل رطب و يابس و تعاض عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَ نُفَصِّلْ لَهُمْ * النساء: ١١٥) على أنه لم يأخذ من كتاب الله الا ما نزل في مشركين من الايات فاولها ظلما منه و تجاسرا على الله تأويلا يسهل له الحصول على أمنيته و ذلك بأن حملها على المسلمين فكفرهم منذ ستمائة عام و هدر دماءهم و أباح أموالهم و جعل بلادهم بلاد حرب و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم في حديث جبرين كما في الصحيحين (الإسلام أن تشهد أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله) الحديث و في الصحيحين من حديث عمر (بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله و ان محمدا عبده و رسوله) الحديث و قوله صلى الله عليه و سلم لوفد عبد القيس (أمركم بالايمان بالله وحده أتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله) الحديث كما في الصحيحين و قوله صلى الله عليه و سلم (كفوا عن أهل لا اله الا الله) لكن ابن عبد الوهب و من تابعه خالفوا هذه الاحاديث و كفروا كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ممن لم يكن على شاكلتهم زعما منهم أن من قالها و هو يتوسل بنبي أو يدعوا غائبا أو ميتا أو بنذر له كان كأنه اعتقد حلافه و ما ماربه في ذلك الا ترويج مدعاه الكاسد ونحن سبين فيما يأتي ان شاء الله تعالى بطلانه ونظهر للقارئ ريفه.

و من عجيب أمره أنه يموه على الناس بدعوى توحيد الله و تزويه قائلا ان التوسل بغير الله شرك مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل جلوس عليه

و يثبت له اليد و الوجه و اجهزة و يقول بصحة الاشارة اليه في السماء و يدعي أن نزوله الى السماء اندنيا حقيقي فيجسمه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فاين تنزيه الله تعالى بعد جعله سبحانه جسما يشترك فيه معه حتى أخس الجمادات و في ذلك من النقص و الازراء بالوهيته سبحانه ما هو متره عنه.

و من عظيم سفهه أنه لما رأى العقل مخالفا لجميع ما يدعيه حلق الحياء فعطل العقل و لم يحكمه في شيء و تصدى الى جعل اناس كالبهائم في أمورهم الدينية و حضر عليهم استعمال العقل فيها مع أنه لا منافاة بين العقل و الدين بل كلما ارتقت العقول في مدارج الكمال صهرت لها مرايا الدين و تجلت محاسنه و هل ترى في هذا العصر عصر ارتقاء العقل أشع من جعله محقر بوضع الحجر عليه على أن مدار الدين و التكليف باحكامه ليس الآ على العقل الذي سقط التكليف عن عدمه و قد خاطب الله تعالى عباده في مواضع كثيرة من كتابه العزيز بقوله (يا أولى الالباب) تنبيهها على أن معرفة حقائق الدين انما هي من شأن أولى العقول.

قد آن لنا أن نذكر ههنا خلاصة ما تمذهب به العرقه المارقة الوهابية من الاناطيل ثم نتكلم عليها في المباحث الآتية بما يردّها و يدحض حجتها فنقول. قد اشتملت عقيدتهم الباطلة على أمور (الاول) اثبات الوجه و اليد و الجهة للاري سبحانه و جعله جسما يتزل و يصعد (الثاني) تقسيم النقل على العقل و عدم حوار الرجوع اليه في الامور الدسبة (الثالث) نفي الاجماع و انكاره (الرابع) نفي القياس (الخامس) عدم حوار التقليد للمحتشدين من أئمة الدين و تكفير من قلدهم (السادس) تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين (السابع) الهي عن التوسل الى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الاولياء و الصالحين (الثامن) تحريم زيارة قور لاسياء و الصالحين (التاسع) تكفير من حلف بغير الله و عده مشركا (العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو دبح عند مراقدة الانساء و الصالحين.

تجسيم الوهابية

إنّ الوهابية التي كفرت من زار قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم متوسلا به الى الله تعالى و عدت ذلك شركا في ألوهيته و قالت بوجوب تنزيهه تعالى عن ذلك قد خبطت كن الحيط في تنزيهه تعالى حيث أبت الآ جعل استرائه سبحانه شوتا على عرشه و استقرارا و علوا فوقه و أثبتت له الوجه و اليدين و بعصته سبحانه فجعلته

ماسكا بالسماوات على أصبع و الارض على أصبع و الشجر على أصبع و الملك على أصبع ثم أثنت له تعالى الجهة فقالت هو فوق السماوات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع الى فوق اشارة حسية و يتزل الى السماء الدنيا و يصعد حتى قال بعضهم.

لئن كان تجسيميا ثبوت استوائه * على عرشه اني اذا لمجسم
و ان كان تشبيها ثبوت صفاته * فعن ذلك التشبيه لا أتلعثم
و ان كان تزيها جحود استوائه * و أوصافه أو كونه يتكلم
فمن ذلك التزيه نزهت ربا * بتوفيقه و الله أعلى و أعلم

نحن ننقل بك ههنا بعض عباراتهم التي وردت في هذا الشأن مسطورة في كتاب (الدين الخالص) قل صاحبه ان اردتم بالجسم المركب من المادة و الصورة أو المركب من الخواهر الفردة فهذا منتهى عن الله تعالى قطعاً و الصواب نفيه عن الممكنات أيضاً فليس الجسم المخلوق مركباً من هذه اهد. فأقول انظر الى ما في هذه العبارة من الخبط فانه أنكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره سواء كان واجبا أو ممكنا و الطاهر أن غرضه من هذا الانكار هو الاتصال الى نفي الجسمية التي ترم من معتقده في الله تعالى فلئلا يقال انه شبه الخالق بمخلوقه نفى الجسمية بالمعنى المذكور عن مخلوقه ايضا و أنت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركباً من المادة و الصورة فلا يحصى أن يكون مركباً من الخواهر الفردة و لكن الجهل ليس له حد ينتهي اليه فلا غرو ان وصل به الى هذا الخبط الشيع فليت بين بعد نفيه تركيب الجسم مما ذكر من أى شئ تركيب الاجسام و لا اعتقد أنه يذهب به طيشه أن يقول بتركبها من اجزاء تتجزى الى غير النهاية فان ذلك مما انكره علماء الكلام قاطبة و نفته العلوم الخاضرة و قامت البراهين على بطلانه و لولا أن في ذكرها خروجاً عن الصدد لبسطها. ثم قال و ان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات و يرى بالابصار و يتكلم و يكلم و يسمع و يبصر و يرضى و يغضب فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى و هو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم الموصوف بها جسماً الى آخر ما قال. فأقول لم نعرف احدا عرف الجسم بأنه المتكلم المكلم السميع البصير الذي يرضى و يغضب و اما هذه صفات تقوم بالحي العاقل نعم ان الجسم يرى بالابصار كما قال و لكن اثباته الجسم له تعنى بهذا المعنى

تزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافي الالهية فان كون الله تعالى جسما بهذا المعنى نقص يجب تزييه عنه أما عقلا فلأن الرؤية كما تحقق في علم البصر اما تتم بوقوع أشعة النور على سطح المرئي و انعكاسها عنه الى البصر فيلزم منه كون المرئي ذا سطح و ذلك يستدعى تركيبه من أجزاء و هو ينافي الالهية لأن الجسم بهذا المعنى عين الجسم الذي نفاء أولا عنه تعالى بل حتى عن الممكن و أما نقلا فنقوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ * الْأَنْعَامُ: ١٠٣) و لا تعارض هذه الآية بقوله تعالى (وَجُورَةُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ * الْقِيَامَةُ: ٢٢-٢٣) لأن كيفية رؤيته تعالى يوم القيامة مجهولة كما هو معتقد أهل الحق فيمكن أن تكون الرؤية يومئذ بنوع من الانكشاف و التحلي من غير حاجة للباصرة و لا محادة لها و يدل على ذلك قوله وجوه و لم يقل عيون و في قوله ناضرة ما يفصح عن حصول السرور التام لها بذلك الانكشاف. ثم قال و ان اردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد اشر اعراف الخلق بالله تعالى اليه باصبعه رافعا لها الى السماء الخ... فاقول ان سادة العقل حاكمة بأن المشار اليه بالاشارة الحسية لا بد أن يكون في جهة و مكان و أن يكون مرئيا و كل ذلك مستحيل على الله تعالى لأنه تعالى لو كان في مكان أو جهة لزم قدم المكان أو الجهة و قد قام البرهان على أن لا قدم سوى الله تعالى و ايضا لو كان في مكان لكان محتاجا الى مكانه و هو ينافي انوجوب و ايضا لو كان في مكان فاما أن يكون في بعض الاحيان أو في جميعها. أما بطلان الاول فلأن الاحيان متساوية في أنفسها و كذلك سبقتها اليها متساوية فيكون اختصاصه ببعضها ترجيح بلا مرجح ان لم يكن هناك محصل خارجي أو يلزم احتياجه في تحيزه الى الغير ان كان هناك مخصص خارجي. و أما بطلان الثاني فلأنه يلزم منه نفاذ المتحيزين في الأماكن التي هي مشغولة بالاجسام و ذلك محال و ايضا لو جاز أن يشار اليه بالاشارة الحسية لجاز أن يشار اليه من كل نقطة من سطح الارض و حيث أن الارض كروية يلزم أن يكون سبحانه محيطا بها من جميع الجهات و الا ما صحت الاشارة اليه و لما كان تعالى مستويا على عرشه و مستقرا عليه كما تزعمه الوهيدية كان عرشه محيطا باسموات السبع فيلزم من نزوله الى السماء الدنيا و صعوده منها كما تقوله الروائية ان يصغر جسمه تعالى عند النزول و

يكبر عند الصعود فيكون منعيراً من حال الى حال تعالى الله عما يقول الجاهلون.
و اما ما تمسكت به الوهابية من القول التي تثبت الاشارة اليه تعالى فهي
ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية فتأول اما اجمالاً و يفوض تفصيلها الى الله كما عيه
أكثر السلف و اما تفصيلاً كما هو رأى لكثيرين فما ورد من الاشارة اليه في السماء
عمول على أنه تعالى خالق السماء أو أن السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من
العوالم العظيمة التي لم تكن أرضاً الحقيرة إلا درة بالنسبة اليها و كذلك العروج اليه
تعالى هو معنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات.

الوهابية و نبذها للعقل

لما كان صريح العقل و صحيح النظر مصادماً كل المصادمة لما اعتقدته
الوهابية اضطروا الى نبذهم العقل جانباً و أخذهم بظواهر العمل فقط و ان نتج منه
الخيال. و نجم عنه العي و الضلال. فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات أن الله تعالى ثبت
على عرشه و علاه علواً حقيقياً و أن به تعالى وجهاً و يدين و أنه ينزل الى السماء
ادب و يصعد نزولاً و صعوداً حقيقيين و أنه يشار اليه في اسماء اشارة حسية بالأصبع
الى غير ذلك مما يؤل الى التجسيم البحت تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً
فالوهابية التي تسمى رائري القبور عباد الأوثان انما هي قد عدت الوثن حيث انما
جعلت معبودها جسماً كالحيوان جالساً على عرشه ينزل و يصعد نزولاً و صعوداً
حقيقيين و له وجه و يد و رجل و اصابع حقيقية مما يتزهد عنه المعبود الحق و اذا رد
عبيهم بالبراهين العقلية و أثبت لهم أن ذلك مساف للالوهية عند العقل قالوا. في الجواب
لا مجال للعقل الخمير البشري في مثل هذه الامور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا
في ذلك النصارى في دعوى التثليث فانك اذا سألتهم قائلاً كيف يكون الثلاثة واحداً و
الواحد ثلاثة قالوا ان معرفة هذا فوق طور العقل و لا يجوز اعمال الفكر في ذلك.

لا ريب أنه اذا تعارض العقل و النقل أول النقل بالقل بالعقل اد لا يمكن حينئذ
احكام بثبوت مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع لتقيضين و لا بانتفاء ذلك
لاستلزامه ارتفاع النقيضين لكن بقي ان يقدم النقل على العقل أو العقل على النقل و
الاول باطل لأنه باطل بالأصل بالفرع و ايضاحه أن النقل لا يمكن اثباته إلا بالعقل و

ذلك لأن اثبت الصانع و معرفة السوء و سائر ما يتوقف صحة النقل عليه لا يتم إلا بطريق العقل فهو أصل للنقل الذي تتوقف صحته عليه فإذا قدم على العقل و حكم بثبوت مفتضاه وحده فقد أبطل الأصل بالمرع و يلزم منه ابطال لفرع أيضا اذ تكون حينئذ صحة اسقل متفرعة على حكم العقل الذي يجوز فسادة و بطلانه فلا يفصح بصحة النقل فلزم من تصحيح النقل بتقدمه على العقل عدم صحته و اذا كان تصحيحه اشئ منجرا الى افساده كان مناقضا لنفسه فكان باطلا فاذا لم يكن تقسم النقل على العقل بالدليل السابق فقد تعين تقدم العقل على النقل و هو المطلوب.

اذا علمت هذا تبين لك جنبا وجوب تأويل ما عارض ظاهره العقل من الآيات القرآنية التي هي ظواهر ظلية لا تعارض اليقينية اما تأويلا اجماليا و يفرض تفصيله الى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف و اما تفصيليا كما هو مذهب أكثر الخلف فالاستواء في قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * طه: ٥) هو الاستيلاء و يؤيده قول الشاعر:

قد استوى عمرو على العراق * من غير سيف و دم مهراق

و قوله تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * الفجر: ٢٢) اى جاء امره و قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ * الفاطر: ١٠) اى يرتصيه فان الكلم عرض يتمتع عليه الانتقال بنفسه و قوله سبحانه (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ * البقر: ٢١٠) اى يأتي عدايه و قوله تعالى (لَمْ دُنَى فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * النجم: ٨ ٩) اى قرب رسوله اليه بالطاعة و التقدير بقاب قوسين تصوير للمعقول بالتحسوس وقوله صلى الله عليه وسلم (انه تعالى ينزل الى السماء الدنيا في كل ليلة فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له) معناه تنزل رحمته و خص بالليل لانه مظنة الخلوات. و نواع الخضوع و العبادات. الى غير ذلك من الايات و الاحاديث.

الوهابية و نفياها الاجماع

حيث كان ما انطوت عليه العقيدة الوهابية مبينا لما أجمع عليه الصحابة الكرام. و المجتهدون العظام. و كافة علماء الاسلام. لم ير أصحاب تلك العقيدة بدا من انكار الاجماع و نفى كونه حجة يعمل بها فهم قد كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا اله الا الله محمد رسول الله سبب زيارته لقبور الانبياء و الاولياء و التوسل بهم الى الله

تعالى مع أن الامة قد اجمعت ان من نطق بالشهادتين احرى عليه احكام الاسلام
لحديث (امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله) و لحديث (كفوا عن اهل
لا اله الا الله) و قال ابن القيم اجمع المسلمون على ان الكافر اذا قال لا اله الا الله و ان
محمدًا رسول الله فقد دخل في الاسلام و لذلك انعقد الاجماع على ان المرتد اذا كانت
ردته بالشرك فان توبته بالشهادتين ثم ان الوهاية عدوا الاستشفاع الى الله تعالى بالنبي
صلى الله عليه و سلم بعد موته كفرا مع ان الاجماع منعقد على جوازه و هم لم يحوزوا
لاحد ان يقلد مجتهدا من ائمة المسلمين و جوزوا لكل احد ان يستنبط من القرآن ما
استطاع ان يستنبط مع ان الاجماع واقع على أنه لا يجوز لاحد ان يكون اماما في الدين
و المذهب حتى يكون جامعا لخصال الاجتهاد فليس لاحد أن يأخذ من الكتاب و
السنة ما لم يجتمع فيه تلك الخصال التي هي شروط الاجتهاد

أما الاجماع فهو اتفاق المجتهدين من الامة الاسلامية في عصر على أمر ديني او
ديني و يلزم على هذا التعريف عدم انعقاد الاجماع على امر بعد انقراض المجتهدين مع
انك تعلم انه لو لم يكن لانعقاد الاجماع جواز في كل عصر لما انحسم ما تراه يحدث
كل يوم من الامور التي لم يصرح بحكمها في الكتاب و السنة و لا تكلم فيها لمجتهدون
اسابقون مثاله ان رجلا سمع بما استجد من القول ان الارض متحركة حول الشمس
فقال غير مكتوث لذلك ان كانت الارض متحركة فزوجته طالق و لما لم يكن في
الكتاب و لا في السنة صراحة دلالة على ثبوت الارض و لا على حركتها لزم ان يبين
عماء الامة حكم هذه المسألة فيعقد اجماعهم على حركة الارض حتى ينحسم به مثل
هذه المسألة. و كذلك لو فرضا أن رجلا صائما ركب بالونا (المركبة الهوائية) قبيل
العروب فارتفع به في الجو صاعدا حتى بلغ علو عشرة آلاف ذراع ثم غابت الشمس
على الارض فافطر الناس هنالك لكنها لم تغب عن عينه و هو في الجو بسبب كرية
الارض فهل يسوغ له الافطار او هل وجبت عليه صلاة المغرب فهذا مما لم يصرح به
في الكتاب و لا في السنة فيلزم على علماء العصر ان يبينوا حكم امثاله و يجمعوا عليه و
يوافق ما قلناه تعريف الامام الغرالي للاجماع بقوله هو اتفاق الامة المحمدية على امر من
الامور و المراد باتفاق الامة هو اتفاق علمائها كما لا يخفى.

قال المنكرون للاجماع ان انعقاده محال و استدلوا على ذلك قائلين ان اتفاقهم فرع تساويهم في نقل الحكم اليهم و انتشارهم في البلاد القصبة مانع من ذلك فأجيب بمنع كون الانتشار مانعا مع جدهم في البحث عن الأدلة و قلوا ايضا الاتفاق اما عن دليل قاطع أو ظني و كلاهما باطل اما القاطع فغير موجود كيف و لو كان لنقل قاعني عن الاجماع فلما لم ينقل علم عدم وجوده و اما الظني فالاتفق فيه ممتنع عادة لاختلاف القرائح و تباين الانظار (و الجواب) مع ما ذكر أما في القاطع فللاستغناء عن بقه بمحصول الاجماع الذي هو أقوى منه و ارتفاع الخلاف المحوج الى نقله و أما الظني فمجاوز ان يكون جسيما مما لا يمنع اختلاف اقرائح و الانظار الاتفاق فيه و انما يمنعه فيما يدق و يخفى مسلكه.

قالوا لو سلمنا ثبوت الاجماع في نفسه فالعلم باتفاقهم محل و احتجوا بأن العادة قاصبة أن لا يصادف أن يثبت عن كل واحد من علماء الشرق و الغرب أنه حكم في المسألة الفلانية بالحكم الفلاني و كذلك احتجوا أن نقل الاجماع مستحيل عادة لأن نقله من الآحاد لا يعيد فلا يعمل به في الاجماع و التواتر لا يتصور اذ الواجب فيه استواء الطرفين و الوساطة و من البعيد ان يشاهد أهل لتواتر جميع العلماء المنتشئين في البلاد شرقا و غربا و يسمعون منهم. و يقلوا عنهم هكذا طبقة بعد أخرى الى أن يتصل بها (و الجواب) عن كلا الاحتجاجين واحد و هو أنه تشكيك في مصادمة الضرورة فقد علم قطعا اجماع الصحابة و التابعين على تقديم الدليل القاطع على المظنون و ما ذلك الا بثبوتهم عنهم و نقله اليها.

ثم ان الاجماع حجة عند جميع العلماء الا النظام و بعض الخوارج و الدليل على حجيته أنهم اتفقوا على القطع بتحطئة المخالف للاجماع فكان حجة لان العادة تحيل اتفاق عدد كثير من العلماء المحققين على القطع في شرعي من غير قاطع فوجب بحكم العادة تقدير بص قاطع دال على القطع بتحطئة مخالف الاجماع لا يقال على ذلك ان فيه اثبت الاجماع بالاجماع ولا اثبات الاجماع ببص قاطع توقف ثبوته على الاجماع لان ثبوت ذلك النص مستفاد من الاجماع على القطع بالتحطئة و هذا دور لأننا نقول ان المدعي هو كون الاجماع حجة و الذي ثبت به ذلك هو وجود نص قاطع دل عليه

وجود صورة من الاجماع بمقتضى عادة وجودها بدون ذلك النص و ثبوت هذه الصورة من الاجماع و دلالتها العادية على وجود النص لا تتوقف على كون الاجماع حجة لأن وجود تلك الصورة مستفاد من التواتر و دلالتها على النص مستفادة من العادة.

و من الأدلة على حجية الاجماع ايضا قوته عليه الصلاة و السلام (لا تجتمع أمي على الخطي) فان معنى هذا الحديث متواتر لما أنه جاء بروايات كثيرة نحو (لا تجتمع أمي على الضلالة) (لا يزال طائفة من أمي على الحق حتى تقوم الساعة) (يد الله مع الجماعة) (من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية) الى غير ذلك و الأحاد و ان لم تتواتر فقد تواتر القدر المشترك و حصل به العلم كما في شجاعة علي و جود حاتم.

استحج المنكرون لحجية الاجماع بقوله تعالى (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ * النحل: ٨٩) فقالوا لا مرجع في تبيان لاحكام الآ الى الكتاب (و الجواب) ان هذا لا ينافي كون غير الكتاب ايضا تبياناً و لا كونه تبياناً لبعض الاشياء بواسطة الاجماع و ان سلم فعايته الظهور و لا يقاوم القاطع و احتجوا ايضا بقوله تعالى (فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ * النساء: ٥٩) قالوا فلا مرجع غير الكتاب و السنة (و الجواب) ان هذا يختص بما فيه التزاع و المجمع عليه ليس كذلك أو هو يختص بالصحابة و لكن سلمنا فعايته أنه ظاهر و هو لا يصادم القطعي كما مرّ و استدّلوا ايضا بحديث معاذ و هو أنه أهمل الاجماع عند ذكر الأدلة اذ سأله النبي صلى الله عليه و سلم عنها و أقره عليه الصلاة و السلام قالوا فقد دلّ هذا على أن الاجماع ليس بدليل (و الجواب) أنه انما لم يذكره لانه حيثئذ لم يكن حجة لعدم تقرر المأخذ من الكتاب و لسنة بعد و لا يلزم أن لا يكون حجة بعد الرسل و تقرر المأخذ.

الوهابية و نفيتها القياس

ان الوهابية كما انكروا الاجماع كذلك أنكروا القياس و ما قصدوا بانكاره إلا التوصل الى الطعن بمحتثدي الامة قائلين أنهم يهذون كتاب الله و سنة رسوله ظهرياً عاملون بمقتضى آرائهم حتى أنهم أخذوا ينددون على ائمة الدين القائلين بالقياس و كونه حجة و يشنعون عليهم بأنهم يعتقدون الدين ناقصاً و أنهم يتموه بمثل الاجماع و القياس و قد قال الله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ * المائدة: ٣) و يقولون انا

لجحد الرطب و اليابس في كتاب الله المبين فأبي حاجة تدعوا الى القياس فان المصوص
تستوعب جميع الحوادث من غير حاجة الى استنباط و قياس.

و من العجب أن الوهاية لاجل تخصة المجتهدين في قبوهم القياس جعلت
تعبث بكلام الله تعالى فتصرف الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة مؤولة اياها. ما
يوافق هواها. مع أنها لا تؤول من الآيات ما يلزم من طاهره النقص على الله تعالى و
الحال كآية الاستواء و ليد و الوجه و تقول ان المجتهدين عاملون بأرائهم مع أنما تجوز
حتى للجهمة الرعاع من ذوي نخلتها أن يفسروا كلام الله بحسب أفهامهم القاصرة.

(القياس) هو مساواة فرع لاصه في عنة الحكم. و أركاه أربعة الاصل المشبه
به. و الفرع المشبه. و حكم الاصل. و الوصف الجامع الذي هو جهة التشبه. و ليس
حكم الفرع ركنا له لانه ثمة لقياس و نتيجته فاذا قلنا النبيذ مسكر فيحرم قياسا على
الخمر بدليل قوله حرمت الخمر فالاصل هو الخمر و هو المشبه به و الفرع في مثالنا هو
النبيذ الذي هو المشبه. و حكم الاصل هو الحرمة و الوصف الجامع هو الاسكار.

و القياس حجة لأن أكثر الصحابة قد عملوا به متكررا مع سكوت الآخرين
و السكوت في مثل ذلك وفق عادة و لقوله تعالى (فاعتبروا) و معلوم أن الاعتبار هو
قياس الشيء بالشيء ليس الآ. و لو لم يكن حجة لبقى كثير من الامور التي نراها تستجد
بحسب الزمان مهمل الحكم مما ليس في طاهر الكتاب و السنة ما يتبين به حكمه
صراحة و هذا لا ياتي قوله تعالى (وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * الانعام:
٥٩) فان المقصود بالكتاب المبين ها هو اللوح المحفوظ الذي أودعه الله تعالى ما كان و
ما يكون أو نقول لما كان الاصل الذي في القياس مذكورا بحكمه في الكتاب كان
الفرع الذي يقاس به في حكم كونه مذكورا ايضا لأنه مبني عليه أو نقول من البديهي
ان احتواء كتاب الله على كل رطب و يابس ليس كله بطريق الصراحة بل كثير من
أحكامه يستنبط منه استنباطا و من طرق الاستنباط القياس فقول الوهاية ان النصوص
تستوعب جميع الحوادث بدون استنباط أو قياس غير مسلم فان استيعابها جميع الحوادث
لا يتم إلا بطريقتيها.

الرهابية و تكفيرها من قلد المجتهدين

لما كانت أقوال المجتهدين السالفين رحمهم الله تعالى وما وصلوا اليه باجتهادهم من الاحكام المقررة الدينية تصادم ما ابتدعته افقة المارقة الوهابية لم تر هذه افقة بد من انكارها صحة اجتهادهم. و تحطئة آرائهم. و تكفير من قلدهم. حتى يحو لها الجور فتبيض و تصفر و تلعب بالدين كما شاء هواها و يتمهد لها الطريق الى تأسيس قواعد ضلالها المبين. اذ هي لو لم تف اجتهادهم لما تم لها أن تصرف بحسب هواها الآيات النازلة في المشركين الى المسلمين. الذين يتوسلون الى الله تعالى بحاج رسوله و كرامة أوبائهم لأن هذا الصرف مما لم يقل به مجتهد و لم يرص به أحد من أئمة الدين. و حيث ان متدع ضاللتها اس عند الوهاب كان كثير الميل الى الاطلاع على احبار من ادعى السوة كمسيلمة و ابي الاسود العنسي وغيرهما من الكذابين. و أنه كان يضمر في نفسه أن يؤسس ديناً يحذو به حذو أولئك الكذابين. و لكنه خاف أن يظهر للناس كذبه كما ظهر كذبهم أبهر ما كان يضمره بصورة النصر لبدن المحمدي موهبا على عقول الناس أنه يريد التوحيد الحقيقي و أن للناس قد أشركوا فيلزم الجهاد معهم حتى يرجعوا عن شركهم و ادعى الاجتهاد المطلق و خطأ كل من تقدمه من المجتهدين أولئك الاحبار الذين اغتروا من عمر علم النبي صلى الله عليه وسلم و كهر مقلديهم و لم يجز لاحد تقليد غيره مع أنه أجاز لكل أحد من اتباعه الجاهليين أن يفسر الآيات الفرقانية بما يصل اليه قاصر فهمه و أن يأخذ الاحكام منها حسب عاجر ادراكه فكأنه حوز لكل أحد من اتاعه أن يكون مجتهدا فانظر الى هذا التلاعب بالدين و العبث بشريعة الرسول الامين. نقول اما ادعاؤه الاجتهاد المطلق فهو محض سهو منه و قحة باللة اذ هو لم يكن في زمه ممن عرف به الرسوخ في العسم بل و لا ممن عد في عداد أرباب الترجيح في المذهب فضلا عن أن يكون مجتهدا مطلقا في الدين فان للاجتهاد شروطا أجمعت العلماء قاطنة على أنه لا يجوز لاحد أن يكون اماما في الدين و المذهب حتى يكون مستوفيا لها. منها أن يكون حافضا للغات العرب عارفا باختلافها و معاني أشعارها و أمثالها و عاداتها. و منها أن يكون واقفا على اختلاف العلماء و الفقهاء و أن يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له عارفا باختلاف قراءاته و اختلاف قرائه بصيرا بتفسيره حذيرا بحكمه و متشاهمه و ناسخه و منسوخه و قصصه. و منها أن يكون عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه و

سلم مميّزا بين صحيح أحاديثه و سقيمها و متصلها و مراسيلها و مسانيدها و مشاهيرها و معها أن يكون ورعا دينا صالحا لنفسه صدوقا ثقة يبي مذهب على كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فمن فاته واحدة من هذه الخصال كان ناقصا فلا يجوز أن يكون محتهدا يقلده الناس (و قال) ابن القيم في اعلام الموقعين لا يجوز لاحد أن يأخذ من الكتاب و السنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. و سأل رجل احمد بن حنبل اذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون فقيها قال لا قال فمائتي ألف حديث قال لا قال فثلاث مائة ألف حديث قال لا قال فارعمائة ألف حديث قال نعم و يقال ان احمد ابن حنبل أجاب عن ستمائة ألف حديث.

و أنت تعلم أن الدس قد أجمعوا جيلا بعد جيل و قرن بعد قرن على أن الأئمة المجتهدين ما استنبطوا أحكام الله من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم إلا بعد ما أحاطوا بالسنة علما. و بالكتاب تفقها و فهما. احاطة قل أن يوجد بعدهم من يتوصل إليها بل العلماء طبقة بعد طبقة متمسكون بأقوالهم كالتنوي و الرافعي و الباقي السبكي و ابن حرم و ابن تيمية و ابن القيم و ابن الجوزي و كالفخر الرازي و الطحاوي و القاسم و القرائي جميعا على تقليدهم و اتباعهم مع أن كل واحد من هؤلاء الاحبار و من فبهم كانت له اليد الطولى في كل فن من الفنون لكن لما علموا أنهم لم يصلوا الى رتبة الاستنباط من كتاب الله و سنة رسوله وقفوا عند حدهم و رحم الله امرا عرف قدره. و لم يتعد طوره. فكيف يسوع للواحد منا في هذا لزمان المتأخر أن يستنبط من كتاب الله و سنة رسوله و يطرح أقوال العلماء المستنبطين الذين أجمع الخاص و العام على اتباعهم فيه.

و أما تكفير ابن عبد الوهاب بقندي من تقدم من المجتهدين فهو كما ذكرناه آنفا اما كان صادرا منه لترويج بدعته حتى لا يعد مسلما الا من اتبعه و ليت شعري لو فرضا أن المجتهدين السابقين كما زعم ابن عبد الوهاب قد ضلوا و أضوا فما الذي كان يلزم على عوام الناس أن يعملوا حينئذ و هم لم يكونوا قادرين على معرفة أخذ الاحكام و استنباطها من كتاب الله و سنة رسوله و ابن عبد الوهاب نفسه لم يكن اد ذاك مولودا حتى ينقدم من ورطة غيهم و جهالتهم و لا أظن أنه كان قد بلغت به القحة أن يقول أولئك اساس أهل فترة جاؤا في زمن لم يكن فيه مجدد في الدين.

المتنصف يعلم أن التقليد ضروري إذ من انحلال عادة أن يكون كل فرد من أفراد مسلمين بالعلم منزلة يمكنه فيها أن يستنتج الأحكام الشرعية رؤسا من كتاب الله و سنة رسوله مما ليس فيه نص صريح سيما الجاهلين باللغة العربية كل الجهالة من عوم لامم الأعجمية كالفرس و الاكراد و الافغن و الاتراك و غيرهم ممن يريد عددهم على مسلمي العرب زيادة كبيرة كما لا يخفى على العارفين بجغرافية الامم و قد أطلق العلماء أنه يجب على من لم يبلغ درجة الاجتهاد أن يقلد مجتهدا و قال تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * السج ٤٣) و قال صلى الله عليه و سلم (هلا اذا لم تعلموا سألوا فانما دواء العي السؤال).

الوهابية و تكفيرها المسلمين

للوهابية درائع اتخذها لتأسيس بدعتها. منها تكفير المسلمين و ذلك أن بن عبد الوهاب كما علمت مما قدمناه لك فيما كتبنا سابقا قد سولت له نفسه الامارة أن يتدع دينا جديدا ينال به الرياسة و لكنه لم رأى أن ذلك لا يتم له في بلاد أهداها على جهلهم شديد و التمسك بالدين الاسلامي اتدع ما ابتدعه في نفس اندين الاسلامي و حيث رأى أن الامر لا يتم له الا بعد تكفير جميع المسلمين بشبه قرآنية وجد الطريق الوحيد الى تكفيرهم توسلهم الى الله تعالى بسببهم صلى الله عليه و سلم و بعيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين و كذا ما يتبعه من النذر و اندبح و غير ذلك مما سوف يأتي فعند تلك الامور عبادة و اذ كان القرآن العظيم مفعما بالآيات الماطقة بأن من يعبد غير الله تعالى فهو مشرك جعل الموحدين جميعهم مشركين بسبب تلك الامور.

ثم ان الوهابية لما كفروا جميع المسلمين ممن حالفهم جعلوا بلادهم بلاد حرب فهدروا دماءهم. و حللوا أموالهم. و قد قال الله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ * آل عمران: ١٩) و قال تعالى (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ * آل عمران: ٨٥) و قال عليه الصلاة و السلام (الاسلام أن تشهد ان لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله) الحديث و في حديث ابن عمر (بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله و أن محمدا عبده و رسوله) الحديث و في حديث وفد عبد القيس (أمركم الايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة ان لا اله الا الله و

أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ الحديث و غير ذلك من الاحاديث قال ابن القيم أجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله فقد دخل في الاسلام

و اعلم أن تكفير المسلم أمر غير هين فقد أجمع العلماء منهم الشيخ ابن تيمية و ابن القيم على أن الجاهل و المحطى من هذه الامة و لو عمل ما يجعل صاحبه مشركا أو كفرا يعدر بالجهل و الخطأ حتى تنبئ له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله.

والمسلم قد يجتمع فيه الكفر والاسلام والشرك والايما و لا يكفر كفرا ينقله عن الملة فقد فارقت الحوارج أولا الجماعة وقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و أمر بقتلهم و قتلهم و قال (يعرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم) و قل (انهم كلاب أهل النار) و قال (يقرأون القرآن يحسبونه لهم و هو عليهم) و هم قد خرجوا في زمن على رضى الله عنه فكفروا عليا و معاوية و من معهم و استحلوا دماء المسلمين و أموالهم و جعلوا بلادهم بلاد حرب و بلاد أنفسهم بلاد إيمان و لم يقبلوا من السنة الا ما وافق مذهبهم و استدلوا لمذهبهم بمشابهة القرآن و جعلوا الآيات البازلة في المشركين في أهل الاسلام و مع كفرهم لم يكفروهم الصحابة و لا التابعون كما نقله ابن تيمية و قال لهم على رضى الله عنه لا تبدأكم بقتال و لا تمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه و لا تمنعكم من المعى ما دامت أيديكم معنا و قد ناظرهم أكابر الصحابة منهم ابن عباس رضى الله عنه حتى رجع منهم الى الحق أربعة آلاف * و أما قتال أهل الردة فلان صنف منهم ارتدوا عن الاسلام و عادوا الى الكفر الذي كانوا عليه من عادة الاوثان. و صفا ارتدوا و تانعوا مسيلمة و هم بنو حيفة و قبائل غيرهم و صفا ارتدوا و وافقوا الاسود العسلي في اليمن. و صفا صدقوا طليحة الاسدي و هم غصصان و فزارة و غيرهما. و صفا صدقوا سجاح فهؤلاء أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم و تركوا الزكاة والصلاة وسائر الشريعة الاسلامية. و صفا فرفوا بين الصلاة و الزكاة و انكروا وجوب أدائها الى الامام و هؤلاء في الحقيقة أهل بغي و انما أصيب اليهم اسم الردة لدخولهم حينئذ في غمار أهل الردة.

ثم فارقت القدرية الجماعة في آخر زمن الصحابة و هم فرقان (الاولى) أنكرت انقدر رأسا و قالت ان الله لم يقدر المعاصي على أهلها و لا يهدي اضرال و لا

يفدر ذلك فعندهم المسلم هو من جعل نفسه مسلماً بنفسه و المصلي هو الذي جعل نفسه مصيياً الى غير ذلك من الطاعات و المعاصي فجعلوا العبد حالقاً لاعماله (و الثانية) بصد الاولى زعموا أن الله جبر الخلق على ما عمدوا و أن الكفر و المعاصي في الخلق كالبياض و السواد في الخلق فعندهم ليس للمخلوق في جميع ذلك صنع بل جميع المعاصي عندهم تضاف الى الله و هؤلاء هم اتباع ابليس حيث قال فيما عوتني و كذلك قال المشركون لو شاء الله ما أشركنا و لا آباؤنا و مع كل كفر القدرية هذا و ضلالهم لم يكفرهم أحد من الصحابة و لا من التابعين بل قاموا في وجوههم و بينوا هم ضلالهم من انكتاب و السنة و ما أوجبوا قتلهم و لا أجروا عليهم أحكام أهل الردة.

ثم فارقت المعتزلة الجماعة في زمن التابعين و من أقوالهم الكفرية قولهم بخلق القرآن و منها انكار شفاعة النبي صلى الله عليه و سلم لاهل المعاصي و معها قولهم بخلود أهل المعاصي في النار و غير ذلك من أقوالهم و لم يكفرهم أحد من العلماء حيث بل قام في وجوههم العلماء من التابعين و من بعدهم و ردوا عليهم و بينوا باطلهم و لكن لم يحرموا عليهم أحكام أهل الردة بل أجروا عليهم و على من تقدمهم من أهل البدع أحكام المسلمين من التوارث و النكاح و الصلاة عليهم و دفنهم في مقابر المسلمين.

ثم فارقت الجماعة المرجئة ائقانة ان الايمان قول بلا عمل فمن نطق عندهم بالشهادتين فهو مؤمن و ان لم يصل لله ركعة طول عمره و لا صام يوماً من رمضان و مع تماديهم في ضلالهم و استمرارهم على عبادهم بعد ان بين أهل الحق لهم خطأ مذهبهم لم يكفروهم بل جعلوا الاخوة الايمانية ثابتة لهم و لم قبلهم من أهل البدع.

ثم فارقت الجهمية الجماعة فقالوا ليس على العرش اله يعبد و لا لله في الارض من كلام و أنكروا صفات الله التي أثبتها لنفسه في كتابه المبين و أثبتوا رسوله الصادق الامين. و أجمع على لقولهما الصحابة و كذلك أنكروا رؤية الله تعالى في الآخرة الى غير ذلك من أقوالهم و معتقداتهم الكفرية و مع ذلك فقد رد عليهم الائمة و بينوا ضلالهم حتى أنهم قتلوا بعض دعاةهم كجهنم بن صفر و الجعد بن درهم و بعد ان قتلوهم غسلوهم و صلوا عليهم و دفنوه في مقابر المسلمين و لم يحرموا عليهم أحكام أهل الردة.

ثم فارقت الرافضة الجماعة و أنهم وافقوا المعتزلة في اعتقاد خلقهم الافعال و أنكروا رؤية الباري تعالى يوم القيامة و حكموا بكفر اكثر الصحابة و طعنوا أم المؤمنين

و مع ذلك فلم يكفرهم أحد من العلماء و لا معروهم عن التوارث و لا التناكح و أجروا عليهم أحكام المسلمين.

و مذهب السلف الذي تستر به الوهابية هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين الذين ذكرناهم. قال الشيخ تقي الدين بن تيمية لم يكفر الامام أحمد الخوارج و لا المرجئة و لا القدرية و لا أعيان الجهمية بل صلى خفف الجهمية الذين دعوا الناس الى قولهم و عاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الشديدة و قل ايضا ما محصله ان من لبدع المكرة تكفير طائفة من المسلمين و استحلال دمائهم و أموالهم اد لعل تلك الطائفة ليس فيها من ابدعة أعظم مما في لطائفة المكرة لها و لو فرض أن تلك الطائفة قد ابتدعت لم يجوز للطائفة التي على السنة أن تكفرها لما عسى أن تكون بدعتها ناشئة عن خطأ قال الله تعالى (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا * البقرة: ٢٨٦) و قال تعالى (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَتَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ * الاحزاب: ٥) و قل النبي صلى الله عليه و سلم (ان الله تجاوز لأمتي عن الخطأ و النسيان و ما استكروها عليه).

و قد انعقد الاجماع على أن من كان مقرا بما جاء به الرسول و ان كانت فيه حصلة من الكفر و الشرك لا يكفر حتى تقام عليه الحجة و الحجة لا تقوم الا بالاجماع القطعي لا الظني و الذي يقيم الحجة هو الامام او نائبه و الكفر انما يكون بانكار الضروريات من دين الإسلام كوجود الباري و وحدانيته و نكار رسالة محمد صلى الله عليه و سلم أو بانكار الفرائض كوجوب لصلاة و مذهب أهل السنة و الجماعة التحاشي عن تكفير من انسب للإسلام حتى أنهم يقفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الامر بقتلهم دفعا بضررهم لا لكفرهم و الشخص الواحد يجتمع فيه الكفر و الايمان و النفاق و الشرك و لا يكفر كل الكفر فمن اعترف بالإسلام قبل منه سواء كان صادقا أو كاذبا و ان ظهرت منه بعض علامات النفاق و الجهل عذر عن الكفر و كذلك الشبهة و ان كانت ضعيفة هذا فقد تبين ما للوهابية في تكفيرها المسلمين من البدعة و المحالفة لما جاء به كتاب الله و سنة رسوله و لأقوال أئمة الدين و العلماء المجتهدين.

الوهابية و نفيها التوسل

ذكرنا فيما سبق تكفير الوهابية لمن حالف بدعتها من جميع المسلمين و نسبتها اياهم الى الشرك الاكبر و قد آن لنا أن نذكر ههنا ما اتخذته ذريعة لتكفيرهم من الامور

فمنها الاستغاثة بالانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله تعالى وريارة قبورهم فهي قد نفت ذلك و حرمة و شددت التكبير على المستغيثين و المتوسلين و الرائين فكفرهم و عدتهم مشركين كعباد الأوثان بل جعلتهم أسوأ حالا منهم حيث قالت ان المشركين السابقين كانوا مشركين في الالهوية فقط و أما مشركوا المسلمين تعني بهم من خالفها منهم فقد أشركوا في الالهوية و الربوبية و قالت أيضا ان لكفر في زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يشركون دائما بل تارة يشركون و تارة يوحدون الله و يتركون دعاء الانبياء و الصالحين و ذلك اهم اذا كانوا في السراء دعوهم و اعتقدوا بهم و اذا أصابهم الضر و الشدائد تركوهم و أخلصوا لله الدين و عرفوا ان الانبياء و الصالحين لا يملكون ضرا و لا نفعا.

حملت الوهابية جميع الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين من أمة محمد صلى الله عليه و سلم و تمسكت بها في تكفيرهم منها قوله تعالى (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * الخ: ١٨) و قوله تعالى (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ * الاحقاف: ٥-٦) و قوله تعالى (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَ لَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَأَنْتَ مِنَ الْظَالِمِينَ * يونس: ١٠٦) و قوله تعالى (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ * الفاطر: ١٣-١٤) و قوله تعالى (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ * الشعراء: ٢١٣) و قوله تعالى (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * ابرعد: ١٤) و قوله تعالى (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لَا تُخْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا * الاسراء: ٥٦-٥٧) الى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين فزعم بن عبد الوهاب أن كل من استعاث بانبي صلى الله عليه و سلم أو توسل به أو بغيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين أو باداه أو سألته الشفاعة أو زار قبره يكون معذوبا في عداد هؤلاء المشركين

داخلا في عموم هذه الآيات و شبهته في ذلك ان هذه الآيات و ان كانت نازلة في المشركين إلا أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(و الجواب) أنا لا نكر أن العبرة هي لعموم اللفظ لا لخصوص السبب و لكننا نقول ان هذه الآيات لا تشمل من رعمت الوهابية أنها شامة لهم لما أنه ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شيء عند المتوسلين و المستعئين فان الدعاء يأتي لمعان شئ كما سذكره قريبا و هو في هذه لآيات كلها بمعنى العبادة و المسلمون لا يعبدون إلا الله تعالى و ليس فيهم من اتخذ الانبياء و الاولياء آلهة و جعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الآيات و لا اعتقدوا أنهم يستحقون العبادة و لا أنهم يخلقون شيئا و لا أنهم يملكون ضرا و لا نفعا بل انما اعتقدوا أنهم عبيد الله مخلوقون له و ما قصدوا بزيارة قبورهم و التوسل بهم إلى الله تعالى إلا التبرك بهم لكونهم أحياء الله المقربين الذين اصطفاهم و اجتباهم فبركتهم يرحم عباده.

قالت الوهابية ان اعتذاركم هذا هو غير اعتذار المشركين عن عبادة الاصنام فقد قال تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى * انزمر: ٣) فالمشركون ما اعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيئا بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى بديل قوله تعالى (وَلَّيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ * الزعرف: ٨٧) و قوله تعالى (وَلَّيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ * لقمان: ٢٥) فانما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقومهم ليقربونا إلى الله زلفى قالت و هكذا المتوسلون بالانبياء و الصالحين يقولون ما هو بمعنى قول المشركين ليقربونا إلى الله زلفى. و الجواب من وجوه (الاول) ان المشركين جعلوا الاصنام الهة و مسلمون ما اعتقدوا إلا اله واحد فعندهم أن الانبياء أنبياء و الاولياء أولياء ليس إلا فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين.

(الثاني) ان المشركين اعتقدوا أن تلك الآلهة مستحقون للعبادة بخلاف المسلمين فانهم لم يعتقدوا أن أحدا من المتوسل بهم مستحق لاقبل عبادة و ليس عندهم المستحق للعبادة إلا الله وحده. (الثالث) ان المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم (وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا) و المسلمون ما عبدوا الانبياء و

الصالحين في توسلهم بهم الى الله تعالى. (الرابع) ان المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب الى الله تعالى كما حكى الله عنهم و أما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالانبياء وغيرهم التقرب الى الله لما أن التقرب اليه تعالى لا يكون إلا بالعبادة و لذلك قال الله تعالى حكية عن المشركين (مَا لِعِبَادِهِمُ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا) بل ان المسمين قصدوا التبرك و الاستشفاع بهم و التبرك بالشئ غير التقرب به كما لا يخفى

(الخامس) ان المشركين لما كانوا يعتقدون أن الله تعالى جسم في لسماء أرادوا بقولهم ليقربونا الى الله التقريب الحقيقي و يدل عليه تأكيده بقولهم رلنى اد تأكيد الشئ بما هو بمعناه يدل في الاكثر على أن المقصود به هو المعنى الحقيقي دون المجازي فانا اذا قلنا قتله قتلا تبادر انقتل الحقيقي الى الفهم لا الضرب الشديد بخلاف ما اذا قلنا قتله فقط فانه قد يراد به الضرب الشديد. و أما المسلمون فحيث لم يعتقدوا أن الله جسم في السماء يبعد منهم أن يطلبوا التقرب الحقيقي اليه بالتوسل فلا يطبق عليهم حكم الآية نعم ان الوهابية لما اعتقدت أن الله تعالى جسم استوى على عرشه في السماء لم تجد للتبرك الذي قصده المسلمون بتوسلهم معنى غير لتقرب الذي يكون الى الاجسام و لذلك جعلت هذه الآية منطبقة عليهم.

و يجدر بنا أن بين هنا أنواع الشرك فنقول: منها ما يقال له شرك الاستقلال و هو اثبت الهين مستقنين كشرك الجوس. و منها شرك التبعض و هو تركيب الاله من عدة آله كشرك النصارى. و منها شرك التقريب و هو عبادة غير الله تعالى ليقرب الى الله زلمى كشرك الجاهلية و الشرك الذي جعلته الوهابية أصلا لشرك استعيت و المتوسل و بنت عليه قاعدتها هو شرك التقريب الذي دانت به اجاهية.

و الامر الذي حمل الجاهلية على شركها هذا هو تسويل الشيطان لها أن عبادتها لله تعالى على ما هي عليه من عاية الضعف و العجز و تركها التقرب اليه بعبادة من هو أعلى منها عنده و أشرف و أقوى كبحو الملائكة اما هو سوء أدب و لكن لما رأت غيبة من عبيده عنها دائما أو بعض الاوقات صنعت الاصنام أمثلة لما غاب عنها من معبوداتها فعبدها.

اذا تحققت هذا اتضح لك أن حال مشركي اجاهية لا يصبق بوجه من

الوجه على المسلمين المتوسلين الى الله بالانبياء و الصالحين فأولئك اتخذوا الاصنام آلهة و الاله معناه المستحق للعبادة فهم اعتقدوا استحقاق الاصنام لعبادة و اعتقدوا أولا أنها تنفع و تضر فعبدها فاعتقادهم هذا و عبادتهم ايها أوقعهم في الشرك فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك معا و لا صرا قالوا ما عندهم الا ليقرّبوا الى الله زلفى فكيف يجوز للوهابية أن نجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين اذ لا شك أن المشركين اما كفروا بسبب عبادتهم تماثيل الانبياء و الملائكة و الاولياء التي صوروها على صورهم و سجدوا لها و دحخوا و بسبب اعتقادهم في الملائكة و الانبياء و الاولياء أنهم آطمة مع الله يضرون و يسمعون بذواتهم و لذلك احتج الله تعالى على ابطال قولهم و ضرب الامثال للرد على معتقدتهم في كثير من الآيات بأن الاله مستحق للعبادة يجب أن يكون قادرا على كشف الضر و ايصال النفع لمن عبده و بأن ما عبده من جملة المحدثات المادية للرؤية و أما المستغيث و المتوسل فهو براء من هذه العادة و هذا الاعتقاد و أما القول بأن مجرد الاستعانة عادة لعير الله تعالى فتحكم و مكابرة اذ الآيات التي استدلت بها الوهابية اثما نزلت جميعها في الكفار الذين عبدوا غير الله و ان قصدوا بعبادتهم ذلك الغير التقرب اليه تعالى و في الدين اعتقدوا أن مع الله الها آخر و أن له ولدا و زوجة (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) و هذا محل وفاق لا نزاع فيه و ليس في الآيات النازلة في لكفار دلالة على كون مجرد الاستعانة بنبي أو ولي مع الايمان بالله تعالى هي عبادة لغير الله تعالى.

قالت الوهابية ان الاستغاثة من نوع الدعاء و قد ورد في الحديث الشريف (ان الدعاء هو العبادة) فالذي يستغيث بنبي أو ولي فهو اما يعده بتلك الاستعانة و حيث أن العادة لا تصلح الا لله وحده و أن عبادة غيره شركه كان المستغيث بغيره مشركا.

فالجواب على هذا ان ضمير الفعل اثما يفيد قصر المسد على المسند اليه و كذا تعريف الخبر كم ذكره صاحب المفتاح و عليه الجمهور فقولنا الله هو الرزاق مثلا معناه لا رارق سواه و على هذا فقوله عليه الصلاة و السلام (الدعاء هو العبادة) دال على أن العبادة مقصورة على لدعاء فيكون المرد من الحديث ان العبادة ليست غير الدعاء و يؤيده قوله تعالى (قُلْ مَا يَعْبُدُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ * الفرقان: ٧٧) أي ما

يصنع بكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان بعبادته و كرامته بمعرفته و طاعته و الا فلا فضل له على الهائم. و الحج و الصلاة و الركاة و الصيام و الشهادة كلها دعاء و كذلك التلاوة و الاذكار و الطاعة فانحصرت العبادة في الدعاء. اذ تقرر هذا فلا حجة في الحديث اذ على تقدير كون الاستعانة من نوع الدعاء كما قالته الوهابية لا يلزم ان تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو ظاهر.

و اما اذا قصرنا المسند اليه على المسند في الحديث بناء على ما ذهب اليه صاحب الكشف من أن تعريف الخير قد يكون نقصر المسند اليه كما يكون لقصر المسند فلا يتم استدلال الوهابية به الا اذا كانت ال في الدعاء للجنس و الاستعراق و هي ليست لذلك اذ ليس كل دعاء عبادة فهو كما يكون بمعنى العبادة كما في قوله تعالى (و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك و لا يضرك * يونس: ١٠٦) كذلك يكون بمعنى الاستعانة كقوله تعالى (وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ * البقرة: ٢٣) و بمعنى السؤال كقوله تعالى (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ * المؤمن: ٦٠) و بمعنى القول كقوله تعالى (دُعَاؤُهُمْ فِيهَا مَسْجِدَاتُ اللَّهِ * يونس: ١٠) و بمعنى النداء كقوله تعالى (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ * الاسراء: ٥٢) و بمعنى التسمية كقوله (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا * البور: ٦٣) على ما فصله صاحب الاتقان و عليه فلو كانت ال للجنس و الاستعراق كان قول المرء يا ريد اعطني درهما كفرا و الوهابية لا تقول به فتعين أن ال في الحديث للعهد فيكون المراد بالدعاء في الحديث هو دعاء الحق تعالى لا مطلق الدعاء أى ان سؤال الله تعالى هو من أعظم العبادة فهو على حد قوله عليه الصلاة و السلام (الحج عرفة) أي ركنه الاكبر و ذلك لانه يدل على أن السائل مقبل عليه تعالى معرض عما سواه و لأن لسؤال مأمور به و فعل المأمور به عبادة و سماه النبي عبادة ليحصح الدعي و يظهر ذلته و افتقاره اذ العبادة ذل و خضوع.

و من الدلائل على كون المراد من الدعاء في الحديث هو دعاء الله لا مطلق الدعاء ما حققه كثير من اللعويين و صرح به ابن رشد و القرابي في شرح التنقيح من أن السؤال أحد أقسام الصب وهو طلب لأدنى من الأعلى فاذا كان من الله تعالى سمي سؤالا و دعاء و لا يقال للطلب من غيره تعالى دعاء فاذا كان لا يجوز ان يقال للطلب من غيره تعالى مجرد دعاء فبالاخرى أن لا يقال لذلك الطلب دعاء بمعنى العبادة.

التوسل وأدلة جوازه

فيل الخوض في المطلب نين لك أن المراد من الاستغاثة بالانبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وان الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون كما هو المعتقد الحق في سائر الافعال فان السكين لا يقطع بنفسه بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادي خلق الله تعالى القاطع عنده

قال السبكي والقسطلاني في (المواهب اللدنية) والسهودي في (تاريخ المدينة) وابن حجر في (الجههر المنظم) ان الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وبغيره من الانبياء والصالحين انما هي بمعنى التوسل الى الله بجاههم والمسئعث يطلب من المستغاث به أن يجعل له العوث بمن هو أعلى منه فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بين المسئعث وبين المستغاث به الحقيقي والعوث منه تعالى انما يكون حقاً وإيجاداً والعوث من النبي عليه الصلاة والسلام انما يكون نسباً وكسباً.

وقد جوز أجلة العلماء الاستغاثة والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يعارض حوارها بخير أبي بكر رضى الله عنه (فوموا نستغث برسول الله من هذا المناق) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله) لان من رواه ابن لهيعة والكلام فيه مشهور. ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى * الانعام: ١٧). وقوله عليه الصلاة والسلام (ما ألتا حملتكم ولكن الله حملكم) فيكون معنى الحديث السابق اني وان يستغاث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى. وباجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة على من يحصل منه عوث ولو تسبباً وكسباً أمر بطقت به اللغة وجوره انشراح فتعير تأويل الحديث المذكور ويؤيد ما بيناه في تأويله حديث لحاري في الشفاعة يوم القيامة. فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم.

لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل منها قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ * المائدة: ٣٥) قال ابن عباس ان الوسيلة كل ما يتقرب به الى الله تعالى والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالافعال وهو تحكم بل ظهر الآية تخصيصها بالدوات فانه تعالى قال في هذه الآية (اتقوا الله) والتقوى عبارة عن فعل

المأمور به و ترك المنهي عنه فاذا فسرنا الوسيلة بالاعمال كان الامر بابتغاء الوسيلة اليه تأكيداً للأمر بالتقوى بخلاف ما اذا أريد بها الذوات فان الامر حينئذ يكون تأسيساً و هو غير من التأكيد.

و منها قوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ * الإسراء: ٥٧) قال ابن عباس هم عيسى و أمه و عرير و الملائكة و تفسر الآية ان الكفار يعبدون الانبياء و الملائكة على أنهم أربابهم فيقول الله لهم أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون الى الله عنى هو أقرب فكيف تجعلونهم أرباباً و هم عبيد مفتقرون الى ربهم متوسلون اليه عنى هو أعلى مقاماً منهم.

و منها قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * النساء: ٦٤) فقد علق تعالى قول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة و السلام و في ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به صلى الله عليه و سلم و قول المتوسل به كما يفهم من قوله تعالى (لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) و أنت تعلم أن استغفاره صلى الله عليه و سلم لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الواردة مما سنفيه

لا يقال ان الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها لأننا نقول انها و ان وردت في قوم معينين في حال حياته صلى الله عليه و سلم تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف سواء كان في حال حياته أو بعد موته صلى الله عليه و سلم.

و منها قوله تعالى (فَاسْتَغَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ * القصص: ١٥) فنسب الله تعالى الاستغاثة الى غيره من المخلوق و كفى به دليلاً على جوازها فان قيل ان المستغاث في هذه الآية حي و له قدرة و انما كلامنا في الميت أجيب بأن نسبة القدرة اليه ان كانت استقلالاً فهي كفر وان كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب و الوسيلة ليس إلا فلا فرق بين الحي و الميت فان الميت له كرامة و اذا لم تنسب الاغاثة الى الله حقيقة و الى غيره محلاً كانت الاستغاثة مسموعة و من هنا تعلم سر نفي النبي صلى الله عليه و سلم الاستغاثة عن نفسه عند ما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه قوموا يستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال عليه السلام (لا

يستغاث بي انما يستغاث بالله) مع أن النبي كان حينئذ حيا و له قدرة فائما قصد صلى الله عليه و سلم نعي الاستعانة لحقيقة فأراد تعليم أمته أنها لا تكون الا بالله.

و منها قوله تعالى (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * مريم: ٨٧) قال بعض المفسرين ان العهد هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله و عليه فمعنى الآية لا يشفع الشافعون الا لمن قال لا اله الا الله و هم المؤمنون كقوله تعالى (لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى * الانبياء: ٢٨) و هو معنى بعيد ان يكون حينئذ تقدير الآية لا يملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ الخ و فيه من التكلف ما فيه.

و الاحسن ان يكون تفسير قوله لا يملكون بمعنى لا يألون فحينئذ يصح الاستثناء بدون تقدير شيء و قيل معناه لا يملك الشفاعة الا من قال لا اله الا الله أي لا يشفع الا المؤمنون و مثله قوله تعالى (وَلَا يَمْلِكُ الدِّينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ * الزخرف: ٨٦) و الشهادة بالحق هي قول لا اله الا الله و حيث كان المراد من التوسل بالانبياء و الاولياء و الصالحين و الصبب منهم هو استشفاعهم و قد أحير تعالى اهم يملكون الشفاعة فأى مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى فيجوز أن تطلب منهم ان يعطوك مما أعطاهم الله تعالى و انما الممنوع هو طلب الشفاعة من الاصنام التي لا تملك شيئا منها.

و منها ما رواه ابن ماجة بسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم آتني أسألك بحق السائلين عليك و أسألك بحق ممشأى هذا اليك فأتى لم أخرج أشرا و لا بطرا و لا رياء و لا سمعة خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعينني من النار و أن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بروجه و استغفر له سبعون ألف ملك) فقد توسل النبي عليه لصلاة و السلام في قوله آتني أسألك بحق السائلين عليك بكل عند مؤمن و أمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله و لم يزل السلف من التابعين و من تبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة و لم ينكر عليهم أحد.

و منها قوله صلى الله عليه و سلم (اغفر لأمي فاطمة بنت أسد و وسع

عليها مدخلها بحق نبيك و الانبياء الذين من قبلي) الى آخر الحديث رواه الطبراني في الكبير و صححه ابن حبان و الحاكم عن أنس بن مالك رضى الله عنه و فاطمة هذه أم على كرم الله وجهه التي ربت النبي صلى الله عليه و سلم و روى ابن أبي شيبة عن جابر مثل ذلك. و روى مثله أيضا ابن عبد البر عن ابن عباس رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس كما ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير.

و منها ما رواه الترمذي و النسائي و البيهقي و الطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال (ان شئت دعوت و ان شئت صبرت و هو خير) قال فادعه فأمره أن يتوضأ و يحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء (اللهم أني أسألك و أتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد أني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعة في) فعاد و قد أبصر. و حرج هذا الحديث البخاري أيضا في تاريخه و ابن ماجه و الحاكم في مستدرك باسناد صحيح و ذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير و الصغير فقد أمر النبي صلى الله عليه و سلم الرجل الضرير أن يندبه و يتوسل به الى الله في قضاء حاجته.

قد تقول الوهاية ان هذا اما كان في حياة النبي صلى الله عليه و سلم فليس يدل على جواز التوسل به بعد موته فحبيب ان الدعاء هذا قد استعمله الصحابة و التابعون أيضا بعد وفاته صلى الله عليه و سلم لقضاء حوائجهم. يدل عليه ما رواه الطبراني و البيهقي أن رجلا كان يختلف الى عثمان رضى الله عنه رمن خلافه في حاجة و لم يكن ينظر في حاجته فشكى الرجل ذلك لعثمان بن حنيف فقال له أنت الميضاة فتوضأ ثم أتت المسجد فصل ثم قل اللهم أني أسألك و أتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد أني أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتي و تذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضى الله عنه فحاء البواب و أخذ يديه و أدخله على عثمان فأجلسه معه و قال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فادكرها فلما خرج الرجل من عنده لقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف و الله ما كلمته و لكن شهدت

رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد أتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الحديث.
فهذا نوسل و ساء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على أن النبي عليه الصلاة اسلام
حي في قبره فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأهم أحياء عند
رهم يرزقون.

و منها ما رواه البيهقي و ابن أبي شيبة بإسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط
في خلافة عمر رضى الله عنه فحاء بلال بن الحرث رضى الله عنه الى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم و قال يا رسول الله استسقى لامتك فإني هلكوا فأتاه رسول الله في المنام و
أخبره أنهم يسقون و استدلالك هذا ليس بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه و
أن كانت حقا لا تثبت بها الأحكام لا مكان اشتباه الكلام على الراي و انما الاستدلال
بفعل أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم في اليقظة و هو بلال بن الحرث فانه أتى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم و ناداه و طرب منه أن يستسقى لأمته.

و منها ما ذكر في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه من
استسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه في زمن خلافته بالعباس عم النبي صلى الله
عليه وسلم لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا (و في المواهب اللدنية) للعلامة
القسطلاني أن عمر رضى الله عنه لما استسقى بالعباس رضى الله عنه قال يا أيها الناس
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده فافتدوا به في
عنه العباس و اتخذوه وسيلة الى الله تعالى.

لا فرق في التوسل بالانبياء و غيرهم من الصحاء بين كونهم أحياء أو أمواتا
لأنهم في كلا الحالتين لا يحلقون شيئا و ليس لهم تأثير في شيء و انما الخلق و الابداد و
التأثير لله وحده لا شريك له في كل ذلك و أما من يعتقد التأثير للأحياء دون الأموات
فهم أن يفرقوا بين التوسل بهم و التوسل بالأموات اما نحن فنقول ان الله هو الخالق
لكل شيء (و الله خالقكم و ما تعملون) فلوهاية التي تتظاهر باندب عن التوحيد و
تجوز التوسل بالأحياء قد دحل الشرك في توحيدها من حيث لا تدري لكونها اعتقدت
تأثير الأحياء مع انه لا تأثير في الحقيقة إلا الله تعالى.

و التوسل و التشمع و الاستغاثة بمآل واحد فاما المقصود منها التبرك بذكر

احياء الله الذين قد يرحم الله اعباد بسببهم سواء كانوا احياء أو أمواتا فالموجد الحقيقي هو الله تعالى و انما هؤلاء أسباب عادية لا تأثير لهم في ذلك.

و أما قول العامي من المسلمين يا عبد القادر (ادركني) و يا بدوي (المدد) مثلا فيحمل على الخاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل هذا الطعام أشعني و هذا الماء أرواني و هذا الدواء شفاي فان الطعام لا يشع و الماء لا يروي و الدواء لا يشفي حقيقة بل المشيع و المروي و الشافي الحقيقي هو الله تعالى وحده و انما تلك أسباب عادية ينسب لها انفعال لما يرى من حصوله بعدها في الظاهر.

و معظم الامة أجمعوا على جوار التوسل به صلى الله عليه و سلم و غيره من الصحابة و الصالحين فقد صدر من كثير من الصحابة و العلماء من السلف و الخلف و اجتماع أكثرهم على الحرام أو الاشرار لا يجوز لقوله صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح و قيل المتواتر (لا تجتمع أمتي على ضلالة) و لقوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ بِأَرْوَاحِكُمْ أَنْ لَا تُدْرِكُوا الْبَيْتَ زَانِكِينَ وَ تَقُولُوا مِثْلَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِيِّ) أخرجه للناس * (آل عمران: ١١٠) فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة.

و من أدلة جواز الاستعانة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث بن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم ذكر في قصة هاجر أم اسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها و ولد لها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتا و لا ترى شخصا فقالت أغث ان كان عندك عوث فلو كانت الاستعانة بعير الله شركا لما طبخت الغوث و لما ذكر النبي صلى الله عليه و سلم ذلك لاصحابه و لم ينكره و لما نقته الصحابة من بعده و ذكره المحدثون.

و منها ما رواه البخاري في حديث الشفاعة أن الحق بينما هم في هول القيامة استعاثوا بآدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى و كلهم يعتدرون و يقول عيسى اذهبوا الى محمد فيأتون ابيه صلى الله عليه و سلم فيقول (أنا لها) الحديث فلو كانت الاستغاثة بالمخوق مموعة لما ذكرها النبي صلى الله عليه و سلم لأصحابه رضى الله عنهم و أجاب المانعون أن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبي صلى الله عليه و سلم قدرة ورد عليهم أنهم في حياتهم الدنوية لا قدرة لهم إلا بهوع التسبب فكذلك بعد الموت على أنهم احياء في قبورهم يتسبون.

و منها ما رواه الطبراني عن ريد بن عقبة بن غدوان عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (إذا أضل أحدكم شيتا أو أراد عونا و هو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فإن الله عبادا لا يراهم).

لا يقال ان المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلموا الجن أو رجال الغيب و هؤلاء كلهم أحياء فلا يستدل بالحديث على الاستغاثة بالاموات و الكلام فيهم لأننا نقول لا صراحة في الحديث بأن المقصود بعباد الله هم من ذكر لا غير و لو سلمنا فالحديث حجة على الوهابية من جهة أخرى و هي نداء الغائب الذي لم يجوروه كنداء الميت و لا يفيد الوهابية طعننا ببعض رواة هذا الحديث فانه قد روى بطرق شتى يعضد بعضها بعضا فقد رواه الحاكم في صحيحه و أبو عوانه و البزار بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم بهذا اللفظ أنه قال (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أحبسوا) و قد ذكر هذا الحديث شيخ الاسلام ابن تيمية في كتبه (الكلم الطيب) عن أبي عوانة في صحيحه و ابن القيم في (الكلم الطيب) له و النووي في (الاذكار) و الحرري في (الحصن الحصين) و غيرهم ممن لا يحصى من المحدثين و هذا لفظ رواية ابن مسعود مرفوعا و رواية ابن مسعود موقوفا عليه فلياد أعينوني يا عباد الله.

و نقل عن عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل أنه قال سمعت أبي يقول حجت خمس حجج فضلت في احدهن عن الطريق و كنت ماشيا فجعلت أقول يا عباد الله دلونا على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق فقل للوهابية التي تدعى نسبتها الى الامام احمد كيف جاز به أن يطلب لدلالة على الطريق من غير الله و هو غائب من غير أن يراه.

و من شبه الوهابية في تكفير من استغاث أو نادى غائبا من نبي أو ولي قد مات ان الذين ينادون سبا أو ولما مستغيثين به قد يكون نداؤهم في أماكن متعددة في زمان واحد و يكون عددهم كثيرا جدا مما يبلغ مئات الآلاف و هم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين نداؤه في ذلك الآن و هذا بصرف النظر عن كونه كفرا و شركا لما فيه من جعل ذلك المادى موصوفا بما هو من صفات الرب عزّ و جلّ ممتمنع عقلا فمن البديهي أن الجسم الواحد لا يكون في زمان واحد موجودا في أماكن متعددة.

و الجواب أنه ليس من معتقد المسلمين حضور المنادي بشخصه حين ندائه في الاماكن المتعددة فان ذلك المعتقد كفر و ذلك الحضور محال و اما المعتقد حضور البركة بخلق الله تعالى اياها في تلك الاماكن المتعددة لطفاً منه و رحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به و ليس في ذلك محال فان رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد.

ثم ان الوهابية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد لذي هم براء منه ساقطت على بطلانه ما ذكره الفقهاء في شرائط النكاح و ذلك أنهم قالوا لو تزوج رجل امرأة بشهادة الله و رسوله لا انعقد النكاح و قالت لو كان النبي يعلم نداء المستغيث به ادا ماله من بعد لكان علام العيوب و لصح انعقاد النكاح الذي قال الفقهاء بطلانه.

و الجواب ان المسلمين كما لا يعتقدون أن النبي أو الولي المستغاث به يحضر عند ندائه كذلك لا يرون عدم الغيب لاحد الا الله تعالى و أما عدم انعقاد النكاح بشهادة الله و رسوله فلأن الشرع انما اشترط شهادة الشهود في النكاح و أمثله صيانة لحقوق الزوجية لما عسى أن يحدث بين الزوجين من المنازعات التي ربما آلت بهما الى الترافع أمام الحكام و حينئذ لا يمكن لاحد الخصمين أن يثبت دعواه بشهادة الله و رسوله اذ نحن لو فرضنا أن الله تعالى عما يقول الظالمون جسم يتزل الى السماء الدنيا كما زعمت الوهابية فنقول ما جرت عادته تعالى أن يتزل الى غرفة الحاكم فيؤدي شهادته أمامه حسماً لزع المخاصمين.

قد علمت أن الوهابية كمرت من نادى غير الله تعالى كقوله يا رسول الله و نحو ذلك و نحن اذا أمعنا للنظر رأينا أن كفر هذا الذي يقول يا رسول الله مثلاً لا يحلو اما أن يكون لأنه يعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين ندائه و يسمع ندائه و يقضي بنفسه له حاجته و يجنيه من الورطة التي ناداه من أجها أو يكون لأنه يعتقد أن الذي يناديه يسمع ندائه سماع الله اياه محض قدرته و ان الله تعالى لا غيره يقضي حاجته ببركة ذلك المنادي و ان الله تعالى يجنيه من الورطة التي هو فيها بجاء ذلك النبي و عسى كلا التقديرين فميه من السقط ما فيه. أما الاول فلأن من اعتقد أن أحداً غير الله تعالى يقضي الحاجة و ينجي من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك الاحد أو لم يداه فلا وجه لتحصيل كفره بحالة النداء و أنت تعلم أن لا أحد من المسلمين يعتقد هذا

المعتقد. و أم الثاني فلأن من كان قلبه عرية الايمان معتقد أن الذي يقضي الحوائج و ينجي من المهالك إنما هو الله تعالى لا غيره لا يجوز أن يكون كافرا بمجرد نداء غائب معتقدا أن الله تعالى يخلق فيه السماع.

و من الجهل ما قائله الوهابية هنا من أن الشرع يحكم بالظاهر و الطاهر من نداء أحد لغير الله أنه يعتقد في ذلك الغير علما محيطا بالعب و قدرة بالغة على قضاء الحوائج و تصرفا تاما في الكون مما هو مختص بالباري عزّ و جلّ و يكون اعتقاده في غيره كفرا و شركا.

و الجواب أن الظاهر من حال من نادى غير الله تعالى يدل على أنه نادى غير الله فقط لا أنه يعتقد في ذلك الغير قدرة و قضاء للحوائج و غير ذلك مما ذكرته الوهابية و لاعتقاد أمر باطني قد يدل بعض الظواهر عليه نكن النداء ليس من قبيلها فقل للوهابية التي تجعل ظاهر النداء دالا على الشرك و الكفر ما بالكم لا تنظرون الى ما للمسلم الذي تكفرونه من ظاهر الصلاة و الصوم و الزكاة و غير ذلك من أركان الدين فتعدونه دالا على إيمانه و حسن اعتقاده و من العجيب أن ذلك المسلم الذي يتنادى بصرح بعدم اعتقاده القدرة و ما شاكلها من ناداه و أنتم مع ذلك تجعلون ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد الذي نفيه عن نفسه فليت شعري أى حكم لاستدلالكم بظاهر نداء الرجل على سوء اعتقاده في مقابلة تصريحه بكم بحسن ما يعتقد

الوهابية و تكفيرها من زار القبور

لو سأل سائل عما تمذهبت به الوهابية ما هو و عن غايته ما هي فقلنا في جواب كلا السؤالين هو تكفير كافة مسلمين لكان جوابنا على اختصاره تعريفا كافيا لمذهبها فن من أمعن النظر فيما جاءت به رأها تتحرى في كل مسألة تكفير كافة المسلمين الذين رضى الله لهم الإسلام دينا فقد كفرهم لتزويدهم الله تعالى عن الجسمية و كفرهم لأخذهم بالاجماع و كفرهم لتقليدهم الائمة المجتهدين في الدين و كفرهم لاستشفاعهم بنبيهم صلى الله عليه و سلم بعد موته و توسلهم به الى الله تعالى و كفرهم لزيارتهم القبور.

لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها اما الاستشفاع و التوسل الى الله بأصحابها و التبرك بهم كما في زيارة قبور الانبياء و الاولياء و اما الاعتبار بالقوم الماضين تمكيننا للخشوع من قلبه و نيلا للأجر بقراءة الفاتحة و الدعاء لهم بالمعزة كما في زيارة قبور سائر المسلمين. أو يقصد تذكّر من مات من ذويه الأقربين. و أحاثه الراحلين. و أعزته الدين غالتهم يد المنون فاسكتتهم القبور بعد القصور فدهسوا عنه ذهاباً ليس وراءه اياب و غادروه كئيباً يندب الأسى و لسان حاله يقول.

ألا يا راحلا عنا مجدا * على مهل فدبتك من مجد

فلا تعجل و سر سير الطوبى * لأنك راحل من غير عود

و تدفعه احساساته الى ريرة قورهم فيقف على دوارس اجدائهم حزينا يسكب على تراها عبرات الأسف و لسان حاله ينشد

ذهب الذين أحبههم * و بقيت مثل السيف فردا

كم من أخ لي صالح * بوأته يدي لحدا

و ليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الذي شهد أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله و لا أظن أن الجاهل الغر من الناس فصلا عن العالم المنتشرع تدفعه جهالة أن يقصد بزيارة القبر عبادته و أن يعتقد كونه يقضي حاجته فيحقق له ما يريد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (ائي كنت قد فحيتكم عن زيارة القصور الا فزوروها فانما ترهّد في الدنيا و تذكر الآخرة) رواه ابن ماجه كما في المشكاة.

أما شد الرحال الى زيارة القبور فمما اختلف فيه العلماء فحرمه بعضهم استدلالا بقوله عليه الصلاة و السلام (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الى المسجد الحرام و الى مسجدي هذا و الى المسجد الاقصى) رواه انشيخان و الترمذي و اختار التحريم القاضي حسين و القاضي عياض و حوزة آخرون منهم امام الحرمين و غيره من المشايخ و استدلوا على اجواز بقوله عليه الصلاة و السلام (كنت فحيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها) فقالوا قد أمر النبي صلى الله عليه و سلم في هذا الحديث بزيارة القبور و لم يفرق بين زيارة القريب منها و البعيد الذي تشد اليه الرحال قالوا و أما حديث (لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد) فانما منع فيه شد لرحال الى مساجد

لا الى المشاهد كما هو الصريح منه و انما مع عن شد الرحال الى المساجد لأفهم متماثلة فلا يخلو بلد من مسجد فلا حاجة الى الرحلة و ليست كذلك المشاهد فلها غير متساوية في البركة كما أن درجات أصحابها متفاوتة عند الله تعالى و لا شك أن الاستثناء في قوله إلا الى ثلاثة مساجد مفرغ فيكون تقديره. اما بالجنس البعيد كأن يقال لا تشد الرحال الى موضع لآ الى ثلاثة مساجد و عليه فيلزم مع السفر الى كل موضع عدا المستثنى فيحرم حينئذ شد الرحل حتى للجهد و للتجارة و طلب الرزق و اقتناء العلم و للترهة و غير ذلك و ليس الامر كذلك. و اما بالجنس القريب كأن يقال لا تشد الرحال الى مسجد إلا الى ثلاثة مساجد و هذا هو الصحيح و عليه فيكون الحديث خاصا بمنع شد الرحال الى المساجد فقط. و يدل على جواز شد الرحال لزيارة القبور ما قانه عمر رضى الله عنه بعد فتح انشام لكعب الاحار يا كعب ألا تريد أن تأتي معنا الى المدينة فتروى سيد المرسلين قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك و كذا يدل عليه مجئ بلال رضى الله عنه من الشام الى المدينة لزيارة قبره عليه الصلاة و السلام و ذلك في خلافة عمر رضى الله عنه.

و من القائلين بالجواز الامام النووي و القسطلاني و الامام الغزالي فقد قال في (احيائه) بعد أن ذكر حديث لا تشد الرحال ما ملخصه استدل به بعضهم على المنع من الرحلة لزيارة المشاهد و يتبين لي أن الامر ليس كذلك بل الزيارة مأمور بها بخير (كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها) و الحديث اما ورد لها عن الشد لغير الثلاثة من المساجد لتمثيلها و لا بلد إلا فيها مسجد فلا حاجة للرحلة الى مسجد آخر و أما المشاهد فيتفاوت بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله.

و أما كون الاموات يسمعون أو لا يسمعون فنقول فيه من المعلوم أن سماع الاحياء اما هو في حقيقة للروح و انما الاذن آلة له ليس الا و حيث أن الميت لا تفنى روحه بفناء جسده فلا يبعد أن تسمع روحه لا يقال انها لا تسمع لفقد آلة السماع منها بدثور الجسد لأننا نقول انها قد تسمع بدون تلك الآلة كما في الرؤيا فان الروح تكلم و تسمع في منامها كما تنصر فيه من غير وساطة آلة من حواسها فهل يستبعد العاقل بعد أن يسمع و يبصر في منامه مع علمه أن ذلك بمجرد روحه من دون أن يكون حواسه أدنى دخل و تسبب أن الروح بعد تجردها من الجسد تكون سامعة مبصرة بدون آلة السمع و

البصر على أن الوهاية لا يسعها في سماع الشهداء الذين ثبت كونهم أحياء بقوله تعالى (وَلَا تُخْسِبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُمْ أَمْوَالًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * آل عمران: ١٦٩) ومما لا ريب فيه أن درجة الانبياء ليست دون درجة الشهداء فهم مشبه أحياء عند ربهم يرزقون وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (موت موسى ليلة أسرى بي وهو قائم يصلي في قبره) وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الانبياء أحياء في قبورهم) رواه الموصلي والبخاري وعنه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (رأيت عيسى وموسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام) رواه الشيخان ومالك في الموطأ وروى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً أبلغته) فإذا ثبت أن الانبياء أحياء ثبت لهم السماع الذي هو من لوازم الحياة.

لا يقال إن حياة الانبياء والشهداء البرزخية غير الحياة الدنيوية فلا تنطبق هذه على تلك لأننا نقول لو سمعنا أن تلك الحياة ليست من نوع الحياة الدنيوية فمجرد ثبوت الحياة لهم أي حياة كانت كافٍ لثبوت السماع لهم وجواز التوسل والاستغاثة بهم على أن آله السماع في الانبياء لا تنعدم بالموت لأن أجسادهم لا تتلى فقد ورد في الحديث الشريف أنه (حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء) و لو أرحبنا العنان فصلدنا أن أجسادهم تتلى في قبورهم كما تزعم الوهاية وقد ثبت لهم الحياة وأهم يرزقون لكان ذلك مثلاً لسماعهم بدون آله على الوجه الذي بيناه آنفاً.

وأما غير الانبياء والشهداء من الاموات فقد ورد في الاحاديث ما يدل على سماعهم روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابن عمر قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم القليب فقال (وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً) فقبل له أتدعون أمواتاً فقال (ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يخبرون) وفي الصحيحين من حديث أنس عن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم (يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) فقال له عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها قال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول فيها منهم) وكذلك قد ثبت في الصحيحين عن أنس

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ليسمع قرع نعالهم) و ذكر الاصهاني بإساده عن عبيد بن مرزوق قال كانت امرأة بالمدينة يقال لها أم محجن تقم المسجد فمات فلم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم ممر علي قبرها فقال ما هذا فقالوا أم محجن قال التي كانت تقم للمسجد قالوا نعم فصص لناس فصلى عليها ثم قال (أي العمل وجدت أفضل) قالوا يا رسول الله أسمع قال (ما أنتم بأسمع منها) فذكر أنها أجاته قم المسجد. وهذا الحديث مرسل الى غير ذلك من الاحاديث.

و اما ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها لما سمعت حديث سماع الاموات أنكرته و قالت كيف يقول عليه الصلاة و السلام ذلك و قد قال الله تعالى (وَمَا أَلْتِ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ * الفاطر: ٢٢) فهو لعدم ثبوت ذلك عنده كما نقل ذلك عن ابن تيمية في بعض فتواه و غيرها لا يكون معدور مثلها لأن هذه المسألة معلومة من الدين بالضرورة لا يجوز لأحد انكارها على أن عائشة رضى الله عنها قد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابن رجب في أهوال القبور أنه قال (الهم ليعلمون الآن أن ما قلت لهم حق) و روايتها هذه تؤيد رواية من روى أنهم يسمعون فإن الميت اذا جاز أن يعلم حاز أن يسمع فيلزم من اثبات لعلم لهم ثبات السماع أيضا ضرورة. و اما قوله تعالى (وَمَا أَلْتِ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ) و قوله تعالى (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُّوْا مُدْبِرِينَ * النمل: ٨٠) فليس فيه دلالة على نفي مطلق السماع عن الموتى و إنما يدل على نفي السماع الذي ينتفع به و ذلك لان المراد عن في القبر في الآية الأولى و بالموتى في الآية الثانية إنما هم الكفار تشبيها لهم بمنهي القبور من الموتى فكما أن الموتى لا يسمعون سماعا نافعا و هو السماع الذي يتم به التخاطب بين السامع و المسموع منه كذلك لكفر لا يسمعون ما يلقيه النبي صلى الله عليه وسلم عليهم من الآيات في أسرارهم سماعا نافعا يهتدون به الى الإيمان و الا فمطلق السماع ثابت للكفار فانهم يسمعون ما يقوله النبي هم و لكنهم لا يتفهمون بما يسمعون و يؤيد هذا قوله تعالى (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّاسْمَعَهُمْ وَلَا تُسْمِعُهُمْ لَتَوَلَّوْا * الأنفال: ٢٣) فان المراد بالسماع في قوله لاسمعهم هو السماع النافع و في قوله و لو أسمعهم هو السماع غير النافع و الا لفسد المعنى اذ تكون الآية حينئذ قياسا تكرر فيه الحد الأوسط فيتج برفعا الحد الأوسط أنه لو علم الله فيهم خيرا لتولوا و هذا محال كما ترى اذ يلزم أن يقع منهم التولى

الذى هو شر مع علم الله اخير فيهم فيكون علم الله جهلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وفي الآيتين السابقتين مخرج ثان وهو أن المراد بالاسماع المسمي فيهم هو اسماع
الهداية كما يدل عليه مساق الآيتين فيكون المعنى انك لا تهدي نفسك الكفار لانهم
كالموتى و أنت لا تسمع بنفسك الموتى واما المسمع اياهم هو الله تعالى وهذا كما في
قوله تعالى (أَنْتَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ * القصص: ٥٦).
لا يقال انه كما أن مسمع الموتى في الحقيقة هو الله تعالى كذلك أن مسمع الاحياء في
الحقيقة ليس غيره لأن الله تعالى هو الخالق لجميع الافعال كما هو المذهب الحق فما
وجه التمثيل بالموتى. لا نقول اما أولا فان كون الله تعالى وحده هو المسمع للموتى
أمر لا يكتسب حتى على العامي و أما كونه تعالى هو المسمع للاحياء في الحقيقة فليس
كذلك لأنه قد يظن أن المسمع للمحاطب هو المتكلم لما يرى من ان سماع المحاطب
يعقب الصوت الخارج من فم المتكلم فلا يكون التمثيل بالاحياء لائقا و ذلك لان
التمثيل يقتضي أن يكون الممثل به واضحا أمره و هو في الاحياء ليس كذلك كما بيناه
و اما ثانيا فان الكفار لما كانوا احياء فتمثيلهم في عدم اسماع النبي اياهم بالاحياء في
عدم اسماعه اياهم أيضا قريب من تشبيه الشيء بنفسه فيكاد يكون من قبيل قول الشاعر

كأننا و الماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

أجابت الوهابية عن حديث أهل القلب بأن سماع الموتى حين سؤال النبي
صلى الله عليه و سلم اياهم كان معجزة له فلا يدل انهم يسمعون كلام غيره أيضا و
الجواب ان المعجزة لا تكون معجزة الا اذا ظهرت لغير مظهرها كتكلم الحصى فان
الصحابة رضی الله عنهم كانوا يسمعون صوت تسبيحه في كفه صلى الله عليه و سلم
و لا يمكن ههنا أن يكون سماع الاموات كلام النبي صلى الله عليه و سلم معجزة لانه
لم يظهر لغيره صلى الله عليه و سلم و أيضا يناي كون ذلك معجزة حديث انه ليسمع
قرع نعالهم فانه يدل على انهم يسمعون كلام غير النبي أيضا.

و أجابت الوهابية أيضا بأن المقصود من تكليم النبي للموتى هو وعظ الاحياء
لا افهام الموتى و الجواب انه لو كان المقصود بتكليمه عليه الصلاة و السلام هو وعظ
الاحياء لما سأله عمر رضي الله عنه كيف تكلم أجساد لا أرواح فيها متعجنا من

تكنيحه اياهم و لا اظن أن الوهابية يدفعها السفه أن تعتقد أنها فهمت بعد الف و نيف من السنين مراد النبي صلى الله عليه و سلم أكثر من صاحبه عمر رضى الله عنه و أيضا بناي كون المقصود بذلك هو الوعظ جواب النبي صلى الله عليه و سلم لعمر بقوله ما أنتم بأسمع منهم فإن جوابه هذا لا يصلح أن يكون وعظا بل هو صريح رد على استبعاد عمر و تعجبه من ذلك كما لا يخفى.

و أجابت الوهابية أن النبي عليه الصلاة و السلام إنما كلم الاموات اعتقادا منه أنهم يسمعون فزلت الآيتان تصحيحا لاعتقاده و الجواب أن النبي صلى الله عليه و سلم لا يجوز أن يعتقد مثل ذلك من تلقاء نفسه بل لابد أن يكون بوحى و الهام من ربه فقد قال تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * انجم: ٣-٤) سيما و ان الأمر ليس مما يتوصل الالسان الى معرفته بمجرد عقله بل هو مما يناي العقل في الظاهر فلا تمكن معرفته الا بالنقل و ذلك بطريق الوحي أو الالهام كما أبنا.

و من الادلة على أن الله تعالى يحيى الموتى في فورهم فيسمعون قوله تعالى حكاية على سبيل التصديق (رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ * العافر: ١١) فلنرد بإحدى الاماتين الاماة قبل مرار القبور و بالاخري الامانة بعد مزار القبور فانهم لو لم يحيون في القبور ثانية ما صحت ماتتهم ثانية. و ما جواب الوهابية ان الاماة الاولى هي حال عدم قل الخلق و الثانية الامانة بعد الخلق فمما يضحك الصبيان لأن الامانة لا تكون الا بعد الحياة و لا حياة قبل أن يخلق الله الحياة و أما جوابها ان الامانة الاولى هي امانة الناس بعد حياتهم في عالم الدر فهو و هن من جوابها الأولى لأن الناس في عالم الدر لم يكونوا غير أرواح خلقها الله تعالى فسألهم ألسنت بركم فأجابوا قائلين بلى و أنت نعم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح لجسد و حيث لا جسد فلا موت نعم يجوز أن يفى الله الارواح بعد خلقها في عالم الدر و لكن ذلك ليس من الموت في شئ ما تقدم.

و استدلت الوهابية على عدم سماع الموتى بالحكم الشرعي الذي أطلق العلماء عليه من أن الرجل لو قال ان كلمت فلانا فامرأتى طالق أو أميتي حرة و كلمه ميتا لا يقع الطلاق و لا العتق قالوا و هذا مبني على عدم سماع الميت عندهم (و الجواب) لا نسلم أنه مبني على عدم سماع الميت عندهم بل هو مبني على ما يعرفون من أن العادة

جارية بتقييد مثل تلك ايمين بالحياة على أن فائدة الكلام هو حصول التحاطب و حيث أن التحاطب لا يتم مع الميت فالكلام معه لا يكون كلاما اذ لا قدرة فيه على الجواب لا لأنه لا يسمع الكلام.

الوهابية و تكفيرها الخالف بغير الله و الناذر و الذابح

قاتل الله الوهابية انها تتحرى في كل أمر أسباب تكفير المسلمين مما ثبت أن همها الاكبر هو تكفيرهم لا غير فتراها تكفر من يتوسل الى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه و سلم و يستعين باستشفاعه الى الله تعالى على قضاء حوائجه و هي لا تحجل اذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجتها التي هي قهر المسمين و حرهم و شق عصاهم و المروق عن طاعة أمير المؤمنين. الذي أمر الله تعالى في كتابه المبين. بلزوم طاعته كما بسطناه في مقدمات الرسالة و تتخذ أعداء الدين أوباء تستمد منهم في احصار القوى التي تسعى الى افساد. و تنحى في العوابة و العباد. قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ * المائدة: ٥١). سحقا للوهابية انها لا تدري أن أولئك الاولياء الذين تتخذهم دريعة لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فاهم يقهروها و يهتصموها أيضا مع من تعده خصما مخالفا لمذهبها.

مر غير مرة ان ديدن الوهابية تكفير كافة المسلمين بكل أمر فهي تكفرهم لتوسلهم بحاه الانبياء و الاولياء و بنائهم و تكفرهم بالخلف بغير الله و السر لذلك الغير و الذبح له و لو سلمنا أن في بعض الاقوال التي نسبها الوهابية الى المسلمين كفرا يصح أن يقال فيه ان قائل هذا القول يكفر لما صح أن تكفر جميع الامة أو تكفر شخصا معينا قال ذلك القول فقد يكون القائل لم يبلغه البصوص الموجبة لمعرفة الحق أو لم تثبت عنده او لم يتمكن من معرفتها و فهمها أو يكون قد عرضت له شبهات يعذر الله تعالى فيها فالذي يؤمن بالله و رسوله فان الله قد يغفر له برحمته بعض الدوب القولية و العملية. و أما ما نزل من الآيات في التشديد على مقرفي تلك الذنوب فهي للوعيد كقوله تعالى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا * النساء: ٩٣) (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا * النساء: ١٠) و قوله تعالى (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَمَّدْ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا * النساء: ١٤) الى غير ذلك من الآيات. قد ابن القيم في (مدارج السالكين) ما ملخصه ان أهل السنة

متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى و عداوة من وجهين مختلفين و قد يكون فيه إيمان و نفاق و إيمان و كفر و يكون أحدهما اقرب اليه من الآخر فيكون من اهله قال الله تعالى (هُمْ لِنُكْفُرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ * آل عمران ١٦٧) هذا و الشرك قسمان خفي و جلي فالخفي قد يغفر و الجلي لا يغفر إلا بالتوبة.

اما الحلف بغير الله تعالى فلا يخرج مرتكبه عن الاسلام فانه و ان ورد من حديث ابن عمر أنه (من حلف بغير الله فقد أشرك) و في رواية (من حلف بغير الله فقد كفر) قد حملة أئمة الحديث من شافعية و حنفية و حنابلة و مالكية على أن المقصود به كفر النعمة و الشرك الخفي كالشرك الحاصل بالرياء و ذلك لا يخرج عن الاسلام انما يحبط العمل فقط كما وقع عليه الاجماع حتى أن أصحاب الشافعي قالوا بأنه مكروه تنزيها لا تحريما فالحلف الذي قد اختص فيه العلماء أنه مكروه أو حرام لا يجوز أن يقال في مرتكبه أنه كافر خارج عن الاسلام و أما الذر لغير الله فقد صرح الشيخ تقي الدين ابن تيمية و ابن القيم و هما من أعظم من شدد فيه بعدم جوازهِ و كونه معصية لا أنه كفر و شرك مخرج عن الاسلام فلا يجوز الوفاء به و لو تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء كان خيرا به عند الله فلو كان الناذر لغير الله كافرا لما أمره بالصدقة لان الصدقة لا تقبل من الكافر بل أمره بتجديد اسلامه و أما الدبح لغير الله فقد ذكره ابن القيم في المحرمات لا في المكهرات الا اذا دبح لما عدا من دون الله و كذلك أهل العلم ذكروا أنه مما أهل به لغير الله و لم يكفروا صاحبه.

لقد تم ما أردت تنميته في هذه العجالة منعا لاتساع المذهب الوهابي و استشاره في بعداد. و ما جاورها من اسلاد. كي يتضح الحق لعين لقارئ و ينجلي له الصواب فلا يعير بما نشرته هذه الفرقة المارقة و موهت به على البسطاء و الخاملين و قد ساعدني في تأليفها و تنميقها حضرة أحي و صاحبي العلامة (معروف افندي ابرصاني) دام في حفظ الباري. و الحمد لله أولا و آخر.

الفقيه اليه تعالى زهاوي زاده جميل صدقي

بعداد في غرة رمضان سنة ١٣٢٢ هجرية

و لما تم طبع هذا الكتاب بغاية الاتقان. قرظه حضرة الفاضل الشيخ عبد الصمد بن أحمد السنان.

نحمدك يا من أمرتنا بابتغاء الوسيلة اليك. و نشكرك معترفين بالعجز عن احصاء الثناء عليك. و بصلي و سلم على صاحب الشفاعة العظمى يوم يقوم الحساب. سيدنا و مولانا محمد و على اله و أصحابه المقربين الأحباب (و بعد) فقد اطلعت على هذا الكتاب الفائقة معانيه. البديعة أساليبه الرائقة مبانيه. فألفيته وحيدا في بابه. مفيدا لطلابه. و كيف لا و مؤلف حضرة الاديب الذي ارتضع من البلاغة اخلافها. و الارب الذي انتجع من الفصاحة اكنافها.

خدن الكمال الزهاوي الذي حسدت * أم المعالي عليه سائر الامم.
فلا بدع اذا تطفلت على موائد واصفيه. قائل لكل من أمعن صائب النظر فيه.

قل لقوم توهموا الرشد غيا * و لهم قد غدا الرجيم وليا
ذا كتاب لفيكم جاء بمحو * و عليكم يحل خزيا جليا
صاغه فاضل تدفق علما * و سما بيننا مكانا عليا

ذاك حبر الزمان من بالرهاوي * قام يدعى موفقا مرضيا
فجزاه الاله خيرا و أحيا * ه ليحيى به الرشاد مليا

و بهذا الكتاب في كل عصر * جعل النعم وافرا و وفيا
فهو نعم الكتاب ما جاء فيه * ذلك اللودعي شيئا فريا
فاتخذ لردع كل غوى * يا أبا العقل صارما هنديا

و ادع بالخبر للمؤلف و القا * ثم بالطبع بكرة و عشيا

و لذى اللب و الحما قل و أرخ * طبع ذا الفجر جاك طبعا سنيا

١٣٢٣ هـ. [١٩٠٥ م.] ٨١ ٧٠١ ٣١٤ ٢٤ ٨٢ ١٢١

ضِيَاءُ الصُّدُورِ

لمنكري التوسل بأهل القبور

ظاهر شاه ميان ابن عبد العظيم
ميان مدين ضلع سوات

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست
مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفتح ٥٧ استانبول-تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدا الى الصراط المستقيم و الصلاة و السلام على سيد الانبياء و المرسلين و على آله و اصحابه الذين هم نجوم الهداية و اليقين اما بعد فيقول العبد المتقتر ظاهر شاه ميان المديني الحنفي القادري المياجوني.

هل التوسل بالانبياء و الأولياء حائز ام لا ؟

اعلم ان التوسل بالانبياء و الأولياء جائز فان التوسل بالانبياء و الأولياء لا يعتقد و لا يحظر على باله ان الأنبياء او الأولياء يقضون له حاجة يتوسل بهم الى الله تعالى ان يقصها له و اما الذي يعتقده و يعمل و ينطق به كل متوسل ان قضاء الخوائج بيد رب العالمين لا يسأل في قضائها غيره و لا يقصها سواه و ليس لمحبوق كائنا من كان ان يقضي حاجة بمعنى يخلقها و يوجد لها مستقلا هذا ما عليه المسمون صغيرهم و كبيرهم ذكرهم و انثاهم و ابيضهم و اسودهم، شريقهم و عريقهم ليس في عقائدهم ان لغيره تعالى حظاً من الابداد و الخلق.

و صرح الشيخ مصطفى أبوالسيف الحمامي احد علماء الازهر و خطيب المسجد الزيني في غوث العباد (و اذن من الاصحابك ان يقول قائل ان اتوسل حائز اذا كان بالاحياء و ليس بجائز اذا كان بالاموات فان هذا القول يشتم منه رائحة ان الحي حياته يعمل. فيمكن ان يقضي الحاجات و ان الميت لموته لا يعمل فلا يقضي الحاجات هذا ليس من عقائد المسلمين و لا يعرفه صغير منهم و لا كبير). و التوسل الى الله تعالى في الحاجات ببركة الانبياء و الاولياء و بجرمتهم و شرفهم و قربهم من الله حين الحياة و بعد الوفاة فانه قد انكر عنه ممرطوا زماننا و لنذكر قدرا ضروريا من ذلك ليصير تبصرا لمن راد ان يتصرف و تذكر لمن اراد ان يتذكر و الله الهادي الى سواء السبيل. فاعلم ان اثبات المسئلة يحتاج الى تحقيق لفظ الوسيعة و البركة فان مدار المسئلة نفيا و اثباتا على هذا و المقاصد مبينة على انبادئ كما ان المسائل بالوسائل و الوسيلة بمعنى ما يتقرب به مصرح في تفسير روح المعاني^(١) و كذا في تاج اللغة فانه ذكر فيه

(١) مؤلف تفسير روح المعاني عمود الكوسي توفى سنة ١٢٧٠ هـ. [١٨٥٤ م.] في بغداد

التوسل بزديكى حستن و الوسيلة. بمعنى الذريعة لها شواهد كثيرة في كتب الفن كما في التذويح اذ العمل هو الوسيلة الى بيل الحاجات و رفع الدرجات و البركة معناها الزيادة ثم صرح استادنا حمد لله احد علماء السرحد في (البصائر المنكري التوسل بأهل المقابر) و مما جاء البركة بمعنى كثرة الخير قوله (حم) * وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * اِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ اِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * (الدخان: ١-٣) قال في المدارك^(١) كثيرة لنفع و الخير فعلم منه ان البركة بهذا المعنى توصف به اللية و كذا قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً * المومنون: ١٨) مباركا فعلم ان لبركة توصف بها الشجرة و كذا قوله تعالى (مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ * النور: ٣٥) فعلم ان البركة توصف بها الشجرة و كذا قوله تعالى (اِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ * طه: ١٢) قال السيوطي في تفسيره^(٢) المطهر او المبارك فعلم ان البركة توصف به (الوادي) و كذا قوله تعالى حكاية عن عيسى على نبيا و عليه الصلاة و السلام (وَجَعَلْنِي مُبَارِكًا اَيْنَ مَا كُنْتُ * مريم: ٣١) فعلم ان لبركة توصف الذوات لعاضلة و لو تتبع محاورات القراء و الحديث وجدت البركة بوصف بها الطعام و انال و الاولاد كما في الدعاء المأثور (اللهم بارك في ماله و اولاده و عمره) و كما في (اللهم بارك على محمد) انتهى. فعليك بالاستقراء في القرآن و كتب الحديث سيما كتاب الاطعمة. و فيما ذكرنا كفاية لبيب الخفيف نعم بين بركة الخالق و المخلوق فرق فان بركة الخلق ذاتي و بركة المخلوق مستعار و كم من فرق بين ما بالذات و ما بالعرض و هكذا كل الصفات فان الاشتراك في الصفات فيما بين الواجب و الممكن اسمي لا حقيقي كما هو مشروح في كتب لكلام في بحث الصفات و لذا فسر في المدارك (تبارك) اي تعاضم عن صفات المخلوقين.

فاحاصل ان البركة لها معاد حجة يراد في كل مقام م يناسبه و هذا قال الشيخ^(٣) في اشعة اللمعات في معنى قوله عليه الصلاة و السلام (انكم ترزقون بضعفاءكم و فقراءكم) ي به برکت فقراء و من الآيات التي جاء التصريح فيها بالتوسل كقوله

(١) مؤلف تفسير المدارك عبد الله النسمي توفى سنة ٧١٠ هـ. [١٣١٠ م.] في بغداد

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن محمد الشافعي توفى سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في مصر

(٣) الشيخ عبد الحق الدهلوي توفى سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.] في دلهي

تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِلَهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * البقرة: ٣٧) قال الامام ابو اليبث^(١) في تفسيره (اللهم بحق محمد الآ م غفرت لي). و قال السيوسي في الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور اخرج ابن المنذر^(٢) عن محمد بن علي بن الحسين بن علي قال لما اصاب آدم الخطيئة عظم كربه و اشتد ندمه فحاء جبرائيل فقال يا آدم هل اعلمت دعاء و من جملة (اللهم اسئلك بجاه محمد عبدك وكرامة عليك ان تغفر لي خطيئتي) الحديث و قال ايضا في تفسيره و اخرج الديلمي^(٣) في مسند الفردوس عن علي قال سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قول الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فقال (اللهم اسئلك بحق محمد) الحديث ثم قال اخرج ابن السجار عن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم من (الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه) قال (سئل بحق محمد و علي و فاطمة و حسن و حسين الآ تت علي فتب عليه) قال الامام البيهقي^(٤) و عن عمر بن الخطاب ان آدم لما اقترف الخطيئة قال يا رب اسئلك بحق محمد مما غفرت لي قال الله تعالى يا آدم و كيف عرفت محمدا و لم احلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيدك و نفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت علي قوائم العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضيف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال الله تعالى (يا آدم و اذا سألتني بحقه غفرت لك و لولا محمد ما حققتك) و في قصيدة النعمان:

است الذي لما توسل آدم * من زلة بك فار و هو اباك

و هكذا في معارج النوة^(٥) قوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * البقرة: ٨٩) و في البيضاوي^(٦) يستصرون على المشركين و

(١) نصر بن محمد ابو الليث السمرقندي مات سنة ٣٧٣ هـ. [٩٨٢ م.]

(٢) محمد بن ابراهيم ابن المنذر مات سنة ٣١٩ هـ. [٩٣١ م.]

(٣) ابو نصر شهردار بن شرويه مات سنة ٥٥٨ هـ. [١١٦٣ م.]

(٤) بوبكر احمد بن حسين البيهقي مات سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.]

(٥) مؤلفه ملا مسكين محمد معين توفي سنة ٩٥٤ هـ. [١٥٤٧ م.]

(٦) القاضي عبد الله بن عمر مات سنة ٦٨٥ هـ. [١٢٨٥ م.] في توير

يقولون (اللهم انصرنا بني آخر الرمان المبعوث في التوراة) و يفتحون عليهم و يعرفونهم ان نبيا يبعث فيهم و قد قرب زمانه و في الخازن^(١) اي يستنصرون به على مشرك العرب و دبت انهم كانوا اذا احزنهم امر و دهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة و كانوا ينصرون و في الكبير ففي سبب النزول وجوه: احدها ان اليهود من قبل مبعث محمد و نزول القرآن كانوا يستفتحون اي يسألون الفتح و النصر و كانوا يقولون اللهم افتح عيننا و انصرنا بالنبي الامي و في الجلالين يستنصرون على الذين كفروا و يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الرمان و في احمل اي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشرك العرب و هكذا في المدارك و روح البياض^(٢) و غيرها من التفاسير و في فتح العزيز^(٣) (يعني و بودند اين يهوديان قبل از نزول اين كتاب معترف و مقرر به نوت اين شخص و بزرگي او بر جميع انبياء پراکه در وقت جنگ و خوف شکست بر خود يستفتحون يعني طلب فتح و نصرت ميکردند ارجناب الهي بام اين بيغمير و ميدانستند که نام او اين قدر برکت دارد که بسبب ذکر آن و توسل بآن فتح و نصرت حاصل ميشود). و إخراج ابن حميد و ابن جرير و ابوعبيد عن قتادة قال كانت اليهود يستفتح بمحمد صلى الله عليه و سلم على كفار العرب و اخرج الحاكم و البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر تقاتل عطفان فعادت بهذا الدعاء اللهم انا نسلك بحق النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكنا اذا التقوا هزموا عطفان. قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * النساء: ٦٤) و في سنن الهدي في متابعة المصطفى ان رجلا بعد وفاته صلى الله عليه و سلم جاء عند قبره و جعل يحثو التراب على رأسه و يقرأ هذه الآية و يقول يا رسول الله اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا و جئتك لاستغفر الله و استغفر لي ديوبي من ربي فسمع صوتا من جانب القبر الشريف قال غفر الله لك

(١) مؤلف تكملة الخازن علاء الدين البغدادي توفي سنة ٧٤١ هـ. [١٣٤٠ م.] ن حلب

(٢) صاحب هذا التفسير اسماعيل حفي البروسوي مات سنة ١١٣٧ هـ. [١٧٢٥ م.]

(٣) مؤلف تكملة فتح العزيز عبد العزيز الدهلوي توفي سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٤ م.]

مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * (الفتح: ٢٥) قوله تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ * (الحج: ٤٠) قال فخر الدين الرازي في تفسيره روى ابو الحوزاء عن ابن عباس قال يدفع الله بالمحسن عن المسيء و بالذي يصلي عن الذي لا يصلي و بالذي يتصدق عن الذي لا يتصدق و بالذي يحج عن الذي لا يحج و عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم (ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته و من جيرانه) ثم تلا هذه الآية و من الاحاديث التي جاء التصريح فيها بالتوسل روى الإمام احمد في مسنده و روه الحاكم في مستدركه على الصحيحين أقبل مروان يوما فوجد رجلا واصعا وجهه على القبر فقال أندري ما تصنع فقبل عليه فاذا ابو ايوب الانصاري فقبل حثت رسول الله و لم آت الحجرة سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول (لا تبكوا على الذين اذا ولّاه اهلهم و لكن ابكوا على الذين اذا ولّاه غير اهلهم) و في المسند للإمام أحمد^(١) عن امرأة من بني غفار و قد سماها لي امية بب ابي الصلت ان النبي اعطاها قلادة من فئ حير و وضعها بيده في عنقها قالت فو الله لا تفارقي ابدا فلما ماتت اوصت ان تدفن معها و روى القاضي عياض في الشفاء انه كانت في قلنسوة خالد بن وبيد شعرات من شعره صلى الله عليه و سلم فسقطت قلنسوة في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه و سلم من كثرة من قتل فيها فقال لو افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه و سلم لثلا اسلب بركتها و تقع في ايدي المشركين و عن ابي الحوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت انظروا النبي صلى الله عليه و سلم فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف فافعلوا فمطر مطرا شديدا حتى ينبت العشب وسمت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق روه الدارمي و مشكوه المصاييح و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (الأبدال يكونون بالشام و هم اربعون رجلا يسقى هم الغيث و ينتصر بهم على الاعداء و ينصرف عن أهل الشام هم العذاب) مشكوة المصاييح و عن انس ان عمر بن الخطاب

(١) أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٤١ هـ. [٨٥٥ م.] في بغداد

كان اذا فحطوا استسقى باعاس فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقىا و انا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقوا رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من زار قبري وجبت له شفاعتي) و في رواية (حلت له شفاعتي) رواه دارقطني و كثر من ائمة الحديث و قد اطال الامام السبكي في كتابه المسمى (شفاء السقام في زيارة خير الامام) في بيان طرق هذا الحديث و بيان من صححه من الائمة ثم ذكر روايات في احاديث الزيارة كلها تؤيد هذا الحديث منها رواية (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) و كذا في سنن الهدى في متبعة المصطفى و في رواية (من جاءني زائرا لا قمه حاجة الا زيارتي كان حقا على ان اكون له شفيعا يوم القيامة) و في رواية (من جاءني رائرا كان له حق على الله عز و جل ان اكون له شفيعا يوم القيامة) و رواه الحافظ ابو يعيم، في عمل اليوم و الليلة من حديث ابي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا خرج الى الصلاة قال (اللهم اني اسئلك بحق السائلين) الى آخر الحديث المتقدم و من لاحاديث الصحيحة اني جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي و النسائي و البيهقي و الطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف و هو صحابي مشهور رضي الله تعالى عنه ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال ادع الله ان يعافيني فقال (ان شئت دعوت و ان شئت صبرت و هو خير) قال فادعه فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء (اللهم اني اسألك و اتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعي في) فعاد و قد ابصر و في رواية قال اس حنيف فو الله ما مرقنا حتى دخل علينا الرجل كأ ان لم يكن به ضرر قط ففي هذا الحديث التوسل و النداء ايضا و حرج هذا الحديث ايضا البخاري في تأريجه و ابن ماجه و الحاكم في المستدرک باسناد صحيح و ذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير و الصغير و ليس لمكر التوسل ان يقول ان هذا اما كان في حياة النبي صلى الله عليه و سلم لان قوله ذلك غير مقبول لان هذا الدعاء ستعمله الصحابة رضي الله عنهم و التابعون ايضا بعد وفاته صلى الله عليه و سلم لقضاء حوائجهم فقد روى لطبراني و البيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في رمن خلافته في حاجه فكان لا ينتفت اليه

و لا يطر اليه في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال له انت الميضاة فتوضأ ثم اتت المسجد فصل ثم قل (اللهم اني اسالك و اتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك لتقصي حاجتي) و تذكر حاجتك فاطلق الرجل فصنع ذلك ثم اتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فاخذ بيده فادخله على عثمان رضي الله عنه فاجلسه معه و قال به اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها فقال له جزاك الله خيرا ما كان يظن حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف و الله ما كلمته و لكن شهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم و اتاه ضريز فشكى اليه دهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل و نداء بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و قد توسل به صلى الله عليه و سلم ابوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم حين اكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها و كذا قال الحافظ الذهبي^(١) عليك به فانه كلمة هدى و نور مرواه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسئلك بحق محمد) لى آخر الحديث رواه الحاكم ايضا و صححه الطبراني و زاد فيه و هو آخر الانبياء من ذريتك.

الاستغاثة باحباب الله عند الشدائد

اعلم ان الاستغاثة باحباب الله تعالى كالانبياء و الاولياء و الصالحين جائر في حياتهم و بعد مماتهم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم و لا فرق بين التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل او التشفع او الاستغاثة او التوجه لان التوجه من الجاه و هو عبو المنزل و قد يتوسل بذى الجاه الى من هو اعلى منه جاها و الاستغاثة معاها طلب العوث و المستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له العوث من غيره و ان كان اعلى منه فالتوجه و الاستغاثة به صلى الله عليه و سلم و بغيرهما ليس لهما معنى في قلوب المسلمين الا طلب العوث حقيقة من الله تعالى و مجاز بالتسبب العادي من غيره و لا يقصد احد من المسلمين غير ذلك المعنى فمس لم ينشرح لذلك صدره فليكن عني نفسه سؤال الله العافية فالمستغاث به في الحقيقة هو الله و اما النبي صلى الله عليه و سلم

(١) عمّد الذهبي توفي سنة ٧٤٨ هـ [١٣٤٧ م] في مصر

فهو واسطة بيه و بين المستعيت فهو مستعاث به حقيقة و العوث منه بالخلق و الایجاد و النبي صلى الله عليه و سلم مستعاث به مجازا و العوث منه بالكسب و التسبب العادي باعتبار توجهه و تشفعه عند الله لعلو منزلته و قدره فهو على حد قوله تعالى (وَ مَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى * الانفال: ١٧) اي و ما رميت خلقا و ایجادا اد تسببا و كسبا و لكن الله رمى خلقا و ایجادا وكذا قوله تعالى (فَلَمْ تَقْتُلْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ * الانفال: ١٧) و قوله صلى الله عليه و سلم (ما انا حملتكم و لكن الله حملكم) قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه في اشعة للمعات من يستمد في حياته يستمد بماء مائه قال الشافعي رحمة الله عليه^(١) قبر موسى الكاظم^(٢) ترياق محرب.

اقوال الحنفية

و في البريقة^(٣) شرح الطريقة المحمدية يجوز اتوسل و الاستعانة بالاسباء و الصالحين بعد موقم لان المعجزة و الكرامة لا تنقطعان بالموت قال شاه ولي الله^(٤) في الهمعات حضرت شيخ عبد القادر در قبر خود تصرف ميکنند مثل احيائي و قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه يکی از مشائخ عظام گفته که ديدم چهارکس از مشايخ که تصرف کنند در قبور خود يکی معروف کرخي و دوم حضرت عبد القادر جيلاني و قال جلال الدين في المشوي. بيت:

هر که را رفتار افلاکش بود * بر زمين رفتن چه دشوارش بود

و في قطب الارشاد قال سبدي احمد بن زروق شارح كتاب الحكم و هو من اعظم الفقهاء و علماء الصرفية من ديار المغرب قن شيخ ابو العباس الحضرمي يوما امداد الحي اقوى ام امداد الميت قلت اهم يقولون امداد الحي اقوى. و انا اقول امداد الميت اقوى فقال لانه في بساط الحق قار في الكتاب حجة الاسرار و في نفحات الانس للشيخ عبد الرحمن لحامي رحمة الله عليه چنان معلوم شد

(١) محمد بن ادریس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ. [٧٢٠ م]

(٢) موسى الكاظم بن جعفر الصادق توفى سنة ١٨٣ هـ. [٧٩٩ م.] في بغداد

(٣) مؤلفه محمد بن مصطفى الخادمي المتوفى سنة ١١٧٦ هـ. [١٧٦٢ م.]

(٤) شاه ولي الله احمد بن عبد الرحيم مات سنة ١١٧٦ هـ. [١٧٦٢ م]

كه آن دو ديكر بزرگوار شيخ عقيل سخى و شيخ حيات جيلاني است قال سيد جمال المكي الحنفي في فتاوى اه.

سئلت عنم يقول في حال الشدائد يا رسول الله او يا على او يا شيخ عبد القادر مثلاً هل هو جائز شرعاً ام لا فاجبت نعم الاستعاذة بالاولياء و نداءهم و التوسل بهم امر مشروع و مرغوب لا ينكره الا مكابر او معاند و قد حرم بركة الاولياء الكرام و قال العلامة الرملي الحنفي في الفتاوى الخيرية قولهم يا شيخ عبد القادر نداء فما الموجب لحرمة انتهى قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه اما اطببا الكلام في هذا المقام رعباً لانف المنكرين فانه قد حدث في زماننا شردمة ينكرون الاستمداد من الاولياء و يقولون ما يقولون و ما لهم على ذلك من عزم ان هم الاخرصون و في جذب القلوب تمام اهل سنت و جماعت اعتقاد دارند به ثبوت ادراكات مثل علم سماع سامري در اموات و لكن النجدي يمحذون الحق و هم يعلمون و قال الامام ابوحنيفة رحمة الله عليه^(١) عند حضور الروضة الشريفة:

يا اكرم الثقلين يا كثر الورى * جد لي بحدك و ارضني برضاك

انا طامع بالحدود منك لم يكن * لابي حنيفة في الانام سواك

و قد جاءت صورة النداء ايضاً في التشهد الذي يقرأه الانسان في كل صلاة حيث يقول السلام عليك ايها النبي و رحمة الله و بركاته و صح عن بلال بن الحرث رضي الله عنه انه دبح شاة عام الفحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول و الحمداه و الحمداه.

اقوال الشافعية

و سئل شيخ الاسلام الشهاب الرملي الانصاري الشافعي عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد يا شيخ فلان و نحو ذلك من الاستغاثة بالانبياء و المرسلين و الصالحين فاجاب انما نصه: الاستعاذة بالانبياء و المرسلين و الاولياء الصالحين جائزة بعد موثقتهم الخ. و في الصبراني انه صلى الله عليه و سلم قال (اذا اضل احدكم شيئاً او اراد عوناً و هو بارض ليس فيها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني) و في رواية (اغيثوني

(١) ابراهيم نعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هـ. [٧٦٧ م.] ببغداد

فان لله عبادة لا تروهم) قال العلامة ابن حجر في حاشية على ايضاح المسالك و هو بحرب كما قاله الراوي للحديث المذكور قال شيخ الاسلام تقي الدين السبكي^(١) في كتاب شفاء السقام و يجوز التوسل بسائر عباد الله الصالحين و القول بالخصوص للنبي صلى الله عليه و سلم قول بلا دليل و قال العلامة ابن حجر لا ينكرها يعني الكرامة بعد الموت الا فاسد الاعتقاد و قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المخرفة ان الامام الشافعي رحمه الله عليه قال:

آل النبي ذريعتي * و هم اليه وسيتي

رجوهم اعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

و قال العارف بالله الشيخ حسين الدجاني مفتي الشافعية:

يا خير مولى عن لجاني المسيء عفا * و صاب من طيبة العرب البهاليل

ما ثم للعبد ملحا غير سيده * و ما له في سوى عليك تأميل

اقوال المالكية

قال العلامة ابوعبد الله محمد بن موسى المالكي^(٢) في كتاب (مصباح الظلام في المستغنين بخير الانام) ان كلا من الاستغائة و التوسل و التشمع و التوجه واقع في كل حال قبل خلقه صلى الله عليه و سلم و بعد خلقه في مدة حياته و بعد موته في مدة البرزخ و في عرصات القيامة و قال ابن ابي حمزة المالكي رحمه الله عليه لما دخلت مسجد المدينة ما جلست الا الجلوس في الصلاة و ما رلت واقفا هناك حتى رحل الركب و لم اخرج الى البقيع و لا غيره و لم ار غيره صلى الله عليه و سلم و قد خطر لي ان اخرج الى البقيع فقلت الى اين ذهب هذا باب الله المفتوح للسالكين و الطالبين و المنكرين و المضطرين و الفقراء و المساكين و ليس ثمة من يقصد مثله و من الدلائل على حوار التوسل و الاستغائة ما ذكره الشيخ احمد الصاوي^(٣) في سورة الكهف قال بعضهم عَمُوا اولادكم اسماء اهل الكهف فانها لو كتبت على باب داركم لم تحرق و على متاع لم يسرق و على مركب لم تفرق.

(١) تقي الدين على بن عبد الكافي السبكي مات سنة ٧٥٦ هـ. [١٣٥٥ م.]

(٢) محمد بن موسى نعمان المالكي المراكشي تولى سنة ٦٨٣ هـ [١٢٨٤ م.]

(٣) احمد بن محمد المالكي الصاوي الترمذي سنة ١٢٤١ هـ. [١٨٢٥ م.]

اقوال الحنابلة

قال عبد الحى بن عماد الدمشقي^(١) في كتاب (شدرات الذهب) ان أهل القبور بهم كرامة بعد الموت مسلمة عند اكبر علماء المحدثين و لم يكر ذلك الا رعا ع الناس و جهلتهم قال السوي الحنبلي في كتاب (المستوعب) ثم يأتى حائط القبر فيقف ناحيته و يجعل القبر تلقاء وجهه و القبلة حلف ظهره و المير عن يساره و ذكر اسلام و الدعاء و منه **اللهم انك قلت في كتابك العزيز بنبيك عليه الصلاة و السلام (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ * النساء: ٦٤) و اني تيت نبيك مستغفرا فاسئلك ان توجب لي المغفرة كما اوجبتها لمن اتاه في حياته (اللهم اني اتوجه اليك بنبيك صلى الله عليه و سلم) قال الشيخ عبد القادر الجيلي ان للقطاب ستة عشر عالما احاطيا، الدنيا و الآخرة عالم من هذه العوالم و هذا لا يعرفه الا من اتصف بالقطبية و كذا قال الامام الشعراني في كتاب (اليواقيت و الجواهر) و قال الامام احمد في المسند عن امرأة من بني غفار و قد سماها لي امية الخ و قال الشيخ عبد القادر الجيلي رحمة الله عليه في سر الاسرار فيما يحتاج اليه الابرة المؤمنون لا يموتون بن يتقون من دار الفناء الى دار النقاء و كقوله عليه افضل الصلاة و السلام (الانبياء و الاولياء يصلون في قبورهم كما يصلون في بيوتهم).**

حياة الانبياء و الاولياء في البرزخ حياة حقيقية

اعلم ان حياة الانبياء و الاولياء ثابتة بالكتاب و السنة و الاجماع قال الله في القرآن الحميد (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * الانبياء: ١٠٧) و قال العلامة السيد محمود الآلوسي البعادي رحمة الله عليه في روح المعاني و كونه صلى الله عليه و سلم رحمة للجميع باعتبار به صلى الله عليه و سلم واسطة الفيض الالهي على الممكنات عى حسب القوابل و لذا كان بوره صلى الله عليه و سلم اول المخلوقات ففي الخبر (اول ما خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر و جاء الله المعطي و انا القاسم) ثم قال العلامة و الذي احتاره انه صلى الله عليه و سلم انما بعث رحمة لكل فرد من العالمين ملائكتهم و انسهم و جنهم و لا فرق بين المؤمن و الكافر من الانس و الجن في ذلك و الرحمة منافاة و قال الله تعالى (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ

(١) ابوالفلاح عبد الحى بن عماد الدين الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ - [١٦٧٨ م].

لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * (البقرة: ١٥٤) (وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * آل عمران: ١٦٩-١٧٠) و اخرج البخاري و البيهقي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول في مرضه الذي توفي فيه (لم ازل اجد الم الطعام الذي اكلت بخير فهذا اوان انقطع اجهري من ذلك السم) و كذا في اباء الاذكياء و قال في الزرقاني^(١) و قد ثبت ان نبيا صلى الله عليه و سلم مات شهيدا لا كله يوم خيبر من شاة مسمومة سما قاتلا من ساعة حتى مات منه بشر يكسر الموحدة و سكون المعجمة ابن البراء بن معرور و صار بقاؤه صلى الله عليه و سلم معجزة فكان به الم السم يتعاهده احيانا لى ان مات به و اخرج احمد^(٢) و ابوعبي و الطبراني و الحاكم في المستدرک و البيهقي في دلائل النبوة عن ابن مسعود قال لان احلف تسعا ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قتل قتلا احب الي من ان احلف واحدة انه لم يقتل و ذلك ان الله تعالى اتخذ نبيا و اتخذ شهيدا و كذا في الانباء الاذكياء فقد روى الترمذي و الحاكم و ابن مردويه و ابن نصر و البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنه ان بعض الصحابة صرب خبائه على قبر و هو لا يحسب انه قبر انسان فاد هو قبر انسان بقرأ سورة ملك حتى ختمها فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال له (هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر) و هل يفي من شك في حياة امرئ يقرأ القرآن يعبد الله تعالى بصوت مرتفع به لدرجة ان يسمعه من بينه و بنه حائل عظيم من تربة و احجار قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه و حيات اسياء كامل تر ا حيات شهداء است (مدارج النبوة) و في ولاء الوفاء للعلامة السمهودي^(٣) و لا شك في حياته صلى الله عليه و سلم بعد وفاته و كذا سائر الاسباء عليهم الصلاة و السلام احياء في قبورهم حياه اكمل من حياة الشهداء التي اخبر الله تعالى بها في كتابه العزيز و نبينا صلى الله عليه و سلم سيد

(١) محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي مات سنة ١١٢٢ هـ. [١٧١٠ م.]

(٢) الامام احمد بن حنبل توفي سنة ٢٤١ هـ [٨٥٥ م.]

(٣) نور الدين علي بن عبد الله توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٦ م.]

الشهداء و أعمال الشهداء في ميزانه و قد قال صلى الله عليه و سلم (علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي) و في التفسير المظهري بل حياة الانبياء اقوى مهم و اشدّ ظهورا آثارها في الخارج حتى لا يجوز النكاح بارواح النبي صلى الله عليه و سلم بعد وفاته بخلاف الشهداء و الصديقين ايضا اعلى درجة من اشهداء و الصالحون يعني الاولياء ملحقون بهم كما يدل عليه الترتيب في قوله تعالى (مَنْ التَّبَيَّنَ وَ الصَّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءَ وَ الصَّالِحِينَ * النساء: ٦٩) قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (الانبياء احياء في قبورهم يصلون) و عن ابي الدرداء (اكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة و ان احدا لن يصلي على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها) قال قلت و بعد الموت قال (و بعد الموت ان الله حرم على الأرض ان تأكل اجساد الانبياء فنبى الله حي يورق) (ابن ماجه) قال سعيد بن مسيب^(١) رضي الله عنه لقد رأيتني ليالي الحرة و ما في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم غيري و ما يأتي وقت الصلاة الا و سمعت الاذان من اقمرو كذا في دلائل النبوة لعلامة ابوعصم و في لزرقاني على المواهب و في الفتاوى الرملية الانبياء و الشهداء و العلماء لا يلون و الانبياء و الشهداء يأكلون في قبورهم و يشربون و يصلون و يصومون و يحجون و قال شاه ولي الله في فيوض الحرمين ان الانبياء لا يموتون و انهم يصلون و يحجون في قبورهم و انهم احياء و في التفسير المظهري ان الله تعالى يعطي لارواحهم قوة الاجساد فينهبون من الارض و السماء و الجنة حيث يشاؤون و ينصرون اوليائهم و يدمرون اعداءهم ان شاء الله تعالى و في الحاوي للفتاوى نقلا عن الاستاذ ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البعدادي الفقيه الاصولي شيخ الشافعية^(٢) قال المتكلمون المحققون من اصحابنا ان نبينا صلى الله عليه و سلم حي بعد وفاته و انه يسر بطاعات امته و يحزن بمعاصي العصاة مهم و انه تنغه صلاة من يصلي عليه من امته قال شيخ المحدثين شاه عبد الحق رحمة الله عليه حيات انبياء متفق عليه است هيج كسى را درو خلاف نيست حيات جسماني و دنيايي حقيقي نه حيات معوى روحاني ثم قال العلامة في المكاتيب على حاشية اخبار الاختيار

(١) توفي سنة ٩١ هـ. [٧١٠ م.]

(٢) توفي سنة ٤٢٠ هـ. [١٠٢٩ م.]

و با چندین اختلاف و کثرت مذاهب که در علماء امت است يك كس را درین مسئله خلاف نیست که المحضر صلی الله علیه و سلم به حقیقت حیات بی شائبه بحار و توهم تأویل دائم و باقیمست و بر اعمال امت حاضر و ناظر است و فی روح البیان قال امام الاولیاء جنید البغدادي^(١) من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه و من كانت حياته برّيه فانه ينتقل من حياة الصبح الى حياة الأصل و هي الحياة الحقيقية و اذا كان القتل بسيف الشريعة حيا مرزوقا فكيف من قتل سيف الصدق و الحقيقة و فی اشعة اللمعات اولیای خدا نقل کرده شدند اربعین دار فانی به دار بقا و رنده اند نزد پروردگار خود و مرزوق اند و خوش حال اند و مردم را ازاله شعور نیست و فی المرقاة لا فرق هم فی الحالین و لذا قبل اولیاء الله لا يموتون و لكن ينتقلون من دار الى دار و کذا فی ارشاد الطالبین لاختوت درويز رحمة الله علیه و فی کشف العطاء مذهب اعتزال است که کويند ميت جماد محض است و فی ارشاد اساري شرح صحيح البخاري قد أكر عذاب انقبر بعض المعتزلة و ابروافض محتجين بان الميت جماد لا حياة له و لا ادراك و فی جامع البرکات اولیاء را کرامات و تصرفات در اکوان حاصل است و آن نیست مکر ارواح ایشان را چون ارواح بقی است بعد از ممات نیز باشد قال شيخ المحدثين فی اشعة اللمعات صالحان را مدد بلیغ است زیارت کننده کان خود را بر اندازه ادب ایشان قال العلامة الثفتاراني فی شرح المقاصد و لهذا يتفجع بزيارة قبور الأبرار و الاستعانة من نفوس الاختيار الامام ابو عمر ابن عبد البرّ فی کتاب الاستذکار و التمهيد عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه و رد عليه السلام) و ذكره الامام السيوطي فی شرح الصدور و الفاضل الزرقاني فی شرح المواهب و شيخ المحقق فی جامع البرکات و جذب القلوب ابن ابي الدنيا و البيهقي و الصابوني و ابن العساكر^(٢) و خطيب البغدادي^(٣) و غيرهم من المحدثين عن ابي هريرة

(١) سيد الطائفة جنید بن محمد البغدادي مات ٢٩٨ هـ. [٩١١ م.]

(٢) علي بن حسن بن عساكر الشافعي مات سنة ٥٧١ هـ. [١١٧٦ م.]

(٣) حافظ احمد بن علي البغدادي الشافعي مات سنة ٤٦٣ هـ. [١٧٠١ م.]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مَرَّ رجل بقبْرِ يعرفه فسلم عليه وعرفه و إذا مَرَّ بقبْرِ لا يعرفه فسلم عليه و رد عليه السلام) و قال الامام لطبراني باسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يسمعون كما تسمعون و لكن لا يجيبون) و في شرح الصدور قال الإمام الباقعي^(۱) رحمة الله عليه و من المشهور أنَّ العقبة الكبير الوليَّ الشهيد احمد بن موسى بن عجين سمعه بعض الفقهاء الصالحين من قراءته يقرأ سورة النور في قبره و قال شاه ولي الله في انفس العارفين مفرمودند ديگر بر بريات مرقد منور ايشان رفته روح ايشان ظاهر شد فرمودند ترا پسری پيدا خواهد شد اورا قطب الدين احمد نام کن چون زوجه به س اياس رسیده بود گمان کردم که مراد پسر پسرست بریں خطره مشرف شدند فرمودند اين مراد من نيست اين پسر از صلب تو خواهد بود بعد از ماني داعيه تزوج ديگر پيدا شد و کتاب الحروف فقير وي الله متولد گشته در و اين واقعه فرموش کردند بولي الله مسمی کردند و بعد از مدتی بياد امر نام ديگر قطب الدين احمد مقرر کردند.

هل علم الغيب للأبياء والأولياء جائز أم لا ؟

اعلم أن علم الغيب ثابت في القرآن ذاتي و عطائي والأيمان به فرض على جميع القراء فالذاتي حاص لله تعالى و العطائي ثابت للأبياء و الأولياء كما قل الله تعالى (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ * آل عمران: ٤٤) (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ * يوسف: ١٠٢) (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ * هود: ٤٩) (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلَهُ مَنْ يَشَاءُ * آل عمران: ١٧٩) (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا * النساء: ١١٣) (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا * يوسف: ٢٢) (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * الكهف: ٦٥) (وَلَوْ طَأَّ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا * الأنبياء: ٧٤) (فَفَقَّهُمَهَا سُلَيْمَانُ وَ كُلُّ آتَيْنَا حُكْمًا وَ عِلْمًا * الأنبياء: ٧٩) (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * النمل: ١٥) (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ

(۱) عميد الدين عبد الله بن اسعد الباقعي الشافعي مات سنة ٧٦٨ هـ. [م. ١٣٦٧].

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * القصص: ١٤) (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * المل: ٧٥) (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ * الجن: ٢٦-٢٧) (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * التکویر: ٢٤) وعلم الغيب للنبي كلي بالنسبة إلى علم المخلوق و جزئي بالنسبة إلى علم الله تعالى لان النبي صلى الله عليه و سلم علم باللوح المحفوظ وفيه كل شئ إلى يوم القيامة أي ما كان وما يكون إلى يوم القيامة كما قال صاحب الردة. مصرع:

و من علومك علم اللوح و القسم

و قال شيخ راده^(١) في شرح هذا البيت إن من تبعية اي علم اللوح بعض من علوم النبي صلى الله عليه و سلم فيزيد علمه صلى الله عليه وسلم بما كان و ما يكون و قال الله تعالى (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ * البقرة: ٢٥٥) في معام التزليل يعني لا يحيطون بشئ من علم العيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل قال صاحب الحارن يعني أن يطلعهم عليه وهم الأنبياء و الرسل و ليكون ما يطلعهم عليه من علم عيه دليلا على نبوتهم كما قال الله تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ * الجن: ٢٦-٢٧) و قال صاحب الكبير لا يعلمون العيب إلا عند اطلاع الله بعض أنبيائه عى بعض الغيب كما قال (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) و في البيضاوي تحت هذه الآيات (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ * آل عمران: ١٧٩) و ما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع عى ما في القلوب من كمر و إيمان و لكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحى الله و يخبره بعض المعسات و قال صاحب الحارن لكن الله يصطفي و يختار من رسله فيطلعه على ما يشاء من غيبه و في الجمل المعنى لكن الله يجتبي أن يصطفي من رسله من يشاء فيطلعه على الغيب و في الجلالين و لكن الله يجتبي و يختار من يشاء فيطلع على عيه كما اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على حال المنافقين و قال الشيخ حمد صاحب الصاوي على الجلالين: الا الرسل انسي يطلعهم على الغيب قال الله تعالى (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الرحمن: ١-٤) و قال

صاحب الحارث قبل المراد (بالإنسان) محمد صلى الله عليه و سلم (علمه البيان) يعني بيان ما كان و ما يكون لانه يسئ عن خير الاولين و الآخرين و عن يوم الدين و في الحسيني آن علم ما كان و يكون هست كه حق سبحانه در شب سري بدن حضرت عطا فرمود وقال صاحب الصاوي قيل هو محمد صلى الله عليه و سلم لانه الانسان الكامل و المراد (بالبیان) علم ما كان و ما يكون و م هو كائن و كذا صرح به سيدي مولانا شيخ المحدثين غلام رسول لائپوری و قال الله تعالى (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * التکویر: ٢٤) و قال صاحب الحارث يقول انه يأتيه علم الغيب فلا يحل به عليكم بل يعصمكم و يحركم ولا يكتمه وقال الله تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ * التحل: ٨٩) و م فرطنا في الكتاب من شيء قال مجاهد و ابن سراقه رضي الله عنهما ما من شيء في العالم إلا هو في كتاب الله (الاتقان).

و النبي صلى الله عليه و سلم علم باللوح المحفوظ و فيه كل شيء إلى يوم القيامة كما قال الله تعالى (وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ * القمر: ٥٣) (لَا حِجَّةَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * الانعام: ٥٩) (لَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * يونس: ٦١) (وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ * يس: ١٢) و قال سلطان الاولياء و برهان الاصفياء الشيخ عبي الدين عبد القادر الجيلاني في سرالاسرار قال عليه السلام إن من العلوم كهينة المكنون لا يعلمها إلا العلماء بالله فاذا يطبقوا بها ما انكرها اهل العزة فالعارف يقول ما دونه و العالم يقول ما فوقه فان علم العارف سر الله تعالى و لا يعلمه غيره إلا بما شاء كما قال الله تعالى (وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ * البقرة: ٢٥٥) أي الانبياء و الاولياء فانه يعلم السر و أخفى و قال الله تعالى في القرآن القديم (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ * البقرة: ٨٥) و في امشكوة عبد الرحمن بن عائش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأيت ربي عز و جل في احسن صورة قال فيم يختصم الملائكة الأعلى قلت أنت اعلم قال فوضع كفه بين كفتي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات و ما في الأرض) و تلا (وَ كَذَلِكَ نُبْرِئُ أَبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * الأنعام: ٧٥) و في المرقاة قال بن حجر أي جميع الكائنات التي في السموات بل و ما

فوقها كما يستفاد من قصة المعراج و الارض هي بمعنى الجنس اي و جميع ما في الارضين السبع بل و ما تحتها كما أفاده أخباره عليه السلام من الثور و الخوت الذين عليهما الارضون كلها يعني ان الله تعالى ارى ابراهيم عليه السلام ملكوت السماوات و الارض و كشفت به ذلك وفتح على أبواب العيوب و في البخاري قال عمر قام فينا رسول الله صلى الله عليه و سلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم و أهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه و نسيه من نسيه قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه فعلمت ما في السماوات و الأرض دانستم هر چه در آسمانها و هر چه در زمین بود عبادت است از حصول تمام علوم جزئی و کلی و أحاطه آد و في المسم عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إن حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وقال في المسند والطبراني قال أبوذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه إلا ذكرنا منه عسما و في المرقاة يحبركم بما مضى أي سبق من خبر الأولين من قبلكم و ما هو كائن بعدكم أي من نبأ الآخرين في الدنيا ومن أحوال الأعمى وفي الزرقاني على المواهب قال لإمام القسطلاني قد اشتهر و انتشر أمره عليه الصلاة و السلام بين أصحابه بالاطلاع على العيوب قال العلامة الزرقاني و قد تواترت الأخبار و اتفقت معانيها على اطلاعه صلى الله عليه وسلم على الغيب قال الإمام الرباعي المحدد لألف لثاني في المكتوبات هر عم عيب كه مخصوص باوست سبحانه خاص رسل را اطلاع می بخشد وقد الشيخ عبدالحق رحمة الله عليه و وى صلى الله عليه وسلم داناست به همه چیز از شیوایات و أحكام الهی و أحكام صفات حق و أسماء و أفعال و آثار و بجميع علوم ظاهر و باطن و أول و آخر أحاطه غوده و مصداق (فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ * يوسف: ٧٦) شدّه عليه من الصلوات أفضلها و من التحیات أمها و أكملها (مدارج النوة) و في الصاوي الحق انه لم يخرج بينا صلى الله عليه و سلم من الدنيا حتى اطلعه على تلك الخمس ولكنه أمر بكنمها و في تفسير الأحمدي و بك إن تقول إن علم هذه الخمسة و إن كان لا يملكه إلا الله لكن يجوز ان يعلمها من يشاء من محبيه و اوليائه بقرينة قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ خَبِيرٌ * لقمن: ٣٤) على ان يكون الخير بمعنى المخبر و قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في الفتح الرباني و اذا كان القطب اطلع على اعمال اهل الدنيا و اقسامهم و ما تقول امورهم اليه و يطع على

خزائن الاسرار و لا يخفى عليه شئ في الدنيا من خير و شر لانه مفرد الملك بطانته نائب انبيائه و رسله امين المملكة فهذا هو العين القطب في زمانه و في فيوض الحرمين فاض على من يحابه المقدس صلى الله عليه و سلم كيفية ترقى لعبد من حيزه الى حيز اقدس فتحلى به كل شئ كما اخبر عن هذا المشهد في قصة المعراج سامي ثم قال في موضع آخر العارف يسحب الى حيز الحق فيصير عبد الله فيتجلى له كل شئ كما ذكره مولانا شاه عبد العزير اطلاق بر لوح محفوظ بمطالعه و ديدن نقوش نيز ار بعضى اولياء بتواتر منقول است (تفسير عزيزي) و قال العارف الرومي في كتابه المعروف بالمشوي:

گر چه هر غیبی خدا مارا غود * دل دران لحظه بحق مشغول بود

و اما الذي خاص الله تعالى كما قال الله تعالى (وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ * الانعام: ٥٩) (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَ لَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَلَائِكَةٌ * الانعام: ٥٠) (وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ * الاعراف: ١٨٨) (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ * النمل: ٦٥) (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنْزِلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ * لقمن: ٣٤) و اما العطائي فثبت كما مر و قال صاحب الصاوي هذه الآية (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا * الاعراف: ١٨٧) و الذي يجب الايمان به ان رسول الله صلى الله عليه و سلم م ينتقل من الدنيا حتى اعلمه الله تعالى بجميع معييات التي تحصل في الدنيا و الآخرة فهو يعلمها كما هي عين اليقين لما ورد (رفعت لي الدنيا فانظر فيها كما انظر الى كفي هذه) و ورد انه اطلع على الجنة و ما فيها و النار و ما فيها و غير ذلك مما تواترت به لاحرار و لكن امر بكتمان البعض الصاوي جلد ٢.

و قال الصاوي تحت هذه الآية (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ * الاعراف: ١٨٨) ان قلت ان هذا يشكل مع تقدم لنا انه اطلع على جمع مغيبات الدنيا و الآخرة و الجواب انه قال ذلك تواضعا او ان علمه بالمغيب علم من حيث انه قدرت له على تعر ما قدر الله وقوعه فيكون معنى ايض لو كان لي علم حقيقي بان اقدر على ما اريد وقوعه لاستكثرت من الخير و قال النووي في شرحه جلا منصب النبي صلى الله عليه و سلم الا علم الروح كيف قد كان اوتي علم الاولين و الآخرين و

ليس في الآية دليل على انه يعلمها (عبي جلد ٢) و منها ما ذكر في المرقاة اي بما ذكر و غيره من الجزليات و الكليات الا يعلم من خلق خير اي مطلع على حفايا الامور او مخبر من شاء من عباده عما شاء من اموره و لكن الوهابيون يجهدون.

تقريب الالهامين عند سماع اشهد ان محمدا رسول الله

فعلم ان تقريب الالهامين عند ذكر اسمه صلى الله عليه و سلم في الاذان جائز بل هو مستحب صرح به مشائخنا كما قال العلامة الفاضل الكامل الشيخ اسماعيل حقي رحمة الله عليه في روح البيان و في قصص الالبياء و غيرها ان آده عليه السلام اشتاق الى لقاء محمد صلى الله عليه وسلم حين كان في الجنة فاوحى الله تعالى اليه هو من صلبك و يظهر في آخر الرمان فسأل لقاء محمد صلى الله عليه وسلم حين كان في الجنة فاوحى الله تعالى اليه فجعل الله النور المحمدي في اصبعه المسبحة من يده اليمى فصبح ذلك النور فذلك سميت تلك الاصبع مسبحة كما في الروض الفائق او اظهر الله تعالى جمال حبيب في صفاء ظفري الهاميه مثل المرأة فقبل آدم ظفري الهاميه و مسح على عينيه فصار اصلا لدرجته فيما اخبر حرائير النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصة قال عليه السلام (من سمع اسمي في الاذان فقبل ظفري الهاميه و مسح على عينيه لم يعم ابدا) و في شرح النقاية و اعلم انه يستحب ان يقال عند سماع الاولى من الشهادة صلى الله عليك يا رسول الله و عند الثانية منها قرأ عيني بك يا رسول الله ثم يقال اللهم متعني بالسمع و البصر بعد وضع ظفري الالهامين على العينين فانه صلى الله عليه و سلم يكون له قائد. الى اجهة قال القهستاني^(١) في شرحه الكثير نقلا عن كثرة العباد اعلم انه يستحب ان يقال عند سماع الاولى من الشهادة الثانية صلى الله عليك يا رسول الله و عند سماع الثانية قرأ عيني بك يا رسول الله ثم يقال اللهم متعني بالسمع و البصر بعد وضع ظفري الالهامين على العينين فانه صلى الله عليه و سلم قائد له الى الجنة و في روح البيان و حضرت الشيخ الامام ابو طالب محمد بن علي المكي^(٢) رفع الله درجته در قوت القيوب روايت کرده از ابن عيينه كه حضرت يعقوب عليه السلام

(١) شمس الدين محمد بن حسام الدين الحنفى المتوفى سنة ٩٦٢ هـ. [١٥٥٥ م.]

(٢) محمد بن علي ابو طالب المكي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ. [٩٩٦ م.]

مسجد درآمد و ابوبکر رضي الله عنه ظفري اهامين چشم خود را مسح کرد و گفت
 قره عيني بك يا رسول الله و چون بلال رضي الله عنه ار اذان فراغت روی نمود
 حضرت رسول الله صلى الله عليه و سلم فرمود که ابابکر هر که بگوید آنچه تو گفتی
 ار روی شوق بلباقای من و بکند آنچه تو کردی بخدای درگذرد گناهان ویرا آنچه
 باشد نو و کهنه و خطا و عمد و نمان و آشکارا قال صاحب المقاصد الحسنة في
 الاحاديث لدائرة على السنة قال العلامة شمس الدين نقلا عن الديلمي ما سمع قول
 المؤذن (اشهد ان محمدا رسول الله) قال هذا و قبل باطن الاملتين السبابتين و مسح
 على عينية فقال صلى الله عليه وسلم (من فعل مثل ما فعل خليلي فقد حلت له
 شفاعتي) ثم نقلا عن موحبات الرحمة و عرائم المغفرة قال خضر عليه السلام من قال
 حين يسمع المؤذن يقول (اشهد ان محمدا رسول الله) مرحبا بحبيبي و قره عيني محمدا
 بن عبد الله ثم يقبل اهاميه و يجعلهما على عينية لم يرمد ابدا ثم قال صاحب المقاصد
 الحسنة قال حسن عليه السلام من قال حين يسمع المؤذن يقول (اشهد ان محمدا
 رسول الله) مرحبا بحبيبي و قره عيني محمدا بن عبد الله صلى الله عليه و سلم و يقبل
 اهاميه و يجعلهما على عينية لم يعم و لم يرمد و قال شيخ المشايخ رئيس المحققين سيد
 العلماء الحنفية بمكة المكرمة مولانا جمال بن عبد الله بن عمر المكي في الفتاوى: سئلت
 عن تقبيل الالهامين و وضعهما على العينين عند ذكر اسمه صلى الله عليه و سلم في
 الاذان هل هو جائز ام لا أجيب بما نصه نعم تقبيل الالهامين و وضعهما على العينين
 عند ذكر اسمه صلى الله عليه و سلم في الاذان جائز بن هو مستحب صرح به مشايخنا
 و في روح البيان اعلم انه ليستحب عند سماع الاولى من الشهادة الثانية صلى الله عليه
 يا رسول الله و عند سماع الثانية قره عيني بك يا رسول الله ثم يقال اللهم متعني بالسمع
 و البصر بعد وضع ظفري الالهامين على العينين فانه صلى الله عليه و سلم يكون قائدا
 له الى الجنة يقول الفقير ظاهر شاه ميان الحفي السبي المياجوخيلي قد صح من لعلماء
 تجويز الاحد باحدث الضعيف في العمليات و قد اصاب القهستاني في القول باستحبابه
 و كفانا من الروايات و كلام المكي في كتابه فانه قد شهد الشيخ السهروردي^(۱) في

(۱) شهاب الدين عمر بن محمد الشافعي السهروردي مات سنة ۶۳۲ هـ. [۱۲۳۴ م.]

عوارف معارف بوفور علمه و كثرة حفظه و قوة حاله و قال من الشافعية في عانة الطالبين على حلّ الفاظ فتح المعين في ص: ۲۴۷ و من المالكية في كفاية الصالح الرباني لرسالة ابن ابي ريد القيرواني ثم يقلل اجماعه و يجعلهما على عينيه لم يعم و لم يرمد ادا و في الطحطاوي^(۱) على مراقبي الفلاح و كذا روي عن الخضر عليه السلام و بمثله يعمل في الفضائل و قال العلامة اشعري في رد المحتار شرح الدر المختار كذا في كثر العباد للقهستاني و نحوه في الفتاوى الصوفية و في كتاب المردوس من قتل طغري اجماعه عند سماع (اشهد ان محمداً رسول الله) في الاذان انا قائده و مدحنه في صفوف الجة و تمامه في حواشي الانحر للملي و قال في موضوعات الكبير قلت (يعني العلامة) و اذا ثبت رفعه الى الصديق رضي الله عنه فيكفي للعمل به لقوله عليه الصلاة و السلام (عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين) و قال ابوالشيخ في مكارم الاخلاق عن ابن عمر و ابن حبان و ابوعمر بن عبد البر في كتاب العزم و ابواحمد ابن عدي في الكامل عن انس بن مالك قال عليه السلام (من بلغه عن الله عزوجل شيء فيه فضيلة فآخذه به ايماناً به رجاء ثوابه اعطاه الله تعالى ذلك و ان لم يكن كذلك) و قال ابويعلی و الطبراني في المعجم الاوسط عن ابي حمزة قال عليه السلام (من بلغه عن الله تعالى فضيلة فلم يصدق بها لم ينله) و في الحديث القدسي (انا عند ظن عبدي) رواه ابنخاري و الترمذي و السائي و ابن ماجه و ايضا قال الامام احمد و ابن ماجه و عقيلي عن ابي هريرة قال عليه السلام (ما جاءكم عني من خير قلته او لم اقله فاني اقله و ما جاءكم عني من شر فاني لا اقول الشر) و يكن الوهابية قوم يجهلون و في معارج النبوة حق تعالى آن نور را به سپاه دمت راست او منتقل گردانيد چون مشاهده آن نور كرد همان انكشت را بر آورد و شهادتين ادا كرد و از آنها بانكشت شهادت موسوم شد و اين ست در وقت شهادت ار آدم عليه السلام يادكار مانند بعد آن انكشت بوسيد و بر ديده نهاد و صلوات با بركات بروج سيد سادات عليه الصلاة و السلام رسان فرمود و كويند در وقت ادا در حين استماع (اشهد ان محمداً رسول الله) صلى الله عليه و سلم بوسيدن و انكشت بر ديده نهادن نيز سنت آدم عليه السلام است و احاديث در فضل آن آورده اند.

(۱) احمد بن محمد الطحطاوي الحنفي مات سنة ۱۲۳۱ هـ. [۱۸۱۵ م.]

بحث في الدعاء بعد الصلوات

و هذا بحث اهم لانه قد كثر الشغب فيه فاعلم ان الدعاء بعد الصلوات جائز بل هو مستحب ان الدعاء طلب الادنى من الاعلى لخضوع و هذا هو المراد بقولهم الدعاء حاجت خواستن و لذا قال الفقهاء ان (اللهم انت السلام) كما هو وارد في الاحاديث ليس بدعاء بل ذكر كما قال العلامة الطحطاوي في شرح المراقي قوله و الدعاء هذا لا ينافي الاتيان بـ (اللهم انت السلام) كما هو المأثور في الروايات ليس بدعاء و قال العلامة في البصائر لمكر التوسل بأهل المقابر و ما ذكر في بعض حواشي كتب الحديث على ما اراي بعض الفضلاء و الكملاء بان (اللهم) دعاء فجوابه ان المراد بالدعاء النداء و لا شك ان اللهم مدى يحذف حرف النداء معناه يا الله لا ان الدعاء بمعنى حاجت خوستى كما ورد في القرآن (لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَ نِدَاءٌ * القرة: ١٧١) فاعلم ان الدعاء مخ لعبادة و لذا قال تعالى (وَ قَالَ رَبُّكُمْ اذْعُرُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ * المؤمن: ٦٠) و هذا هو السد على كون الدعاء عبادة و هذا نص مصلق من ان يكون بعد الصلاة لولا و ان يكون بالانفراد و الاجتماع فان المطلق يحري على اطلاقه في الصفات و يراد منه الفرد الكامل في الدوات فحصل التوفيق بين الاصلين و قال الله تعالى (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * الاشراف: ٧) قال ابن عباس و قتادة و مقاتل و مجاهد و غيرهم اذا فرغت من صلاتك فاتعب و بالغ و اجتهد في السؤال و فائدته ان ينفعه في الدنيا و الآخرة فان الدعاء بعد الصلاة مستحاجة كذا هو المأثور هذا ملنقطه بالفاظ متقاربة من التفسير كالمبارك جلد ٤ و المخارن جلد ٤ و الجلالين مع الجمل و معالم التنزيل جلد ٧ و الكبير جلد ٨ و ابوالسعود جلد ٨ و احكام القرآن للحصاص جلد ٣ و ابن جرير و كذا ذكر الامام البخاري باب الدعاء بعد الصلاة ح ٢ ص: ٩٣٧ فعلم من قوله تعالى و قول الامام البخاري المسند الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ان بعد الصلاة دعاء و الظاهر ان الدعاء ليس بين السنة و الفرض لان الفصل بين السنة و الفرض بما زاد على (اللهم انت السلام) مكروه و في فتاوى برهنه بعده از سلام فرص زود بر حيزد و درنك ه كمد مكر بقدر (اللهم انت السلام) تا آخر كه رياده ازين كراهيت است

و بدعت كما في حزانة المفتين و الترغيب و ار نعمان الدين آمله كه آيت الكرسي بعد ار فرص نحو انه نه نشسته و نه استده بلکه بعد از سنت. و قال العلامة الشامي ج ١ ص: ٤٧٧ و كذا لو فصل بقراءة الاوراد لان السنة الفصل بمقدار (اللهم انت السلام) حتى لو زاد تقع سنة لا في محلها المستنون (١) عن الاسود العامري عن ابيه رضي الله عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم الفجر فلما سلم انحرف و رفع يديه و دعا الحديث (٢) حدثنا يحيى الاسلمي رضي الله عنه قال رأيت ابن الربير رأى رجلا رافعا يديه يدعو قبل ان يفرغ من صلاته فلما فرغ منها قال نه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكن يرفع يديه حتى يفرغ من صلاته اخرجه ابن ابي شيبة ثم الحافظ السيوطي في رسالته (نص الدعاء في احاديث رفع اليدين في الدعاء) ثم (مسلك السادات) لمفاتيح المالكية بمكة ثم (استحباب الدعوات ص: ٦) وعن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (اذا انصرف من المغرب فقل اللهم اغفر لي ذنوبي و اجزني من النار سبع مرات) رواه ابوداود ثم ابن السني ثم مسلك السادات ثم رسالة استحباب الدعوات قال فضالة بن عبيد سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله و لم يصل على النبي صلى الله عليه و سلم عجل هذا ثم دعا فقال له او غيره (اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد ربه و الشاء ثم يصلي على النبي) صلى الله عليه و سلم (ثم يدعو بما شاء) و من آداب الدعاء تكرار الدعاء لان الامام البخاري ذكر باب تكرار الدعاء ج ٢ ص: ٩٤٥ و في الحصن الحصين و ان يكرر الدعاء و اقله التثليث و ذكر الامام مسلم ج ١ ص: ٣١٣ في واقعة قبيل الغرق انه عليه الصلاة و السلام رفع يديه ثلاثا قال الامام النووي فيه استحباب اطالة الدعاء و تكرار رفع اليدين لكن السنة عندنا مقدمة على الدعاء الذي هو عقب الفراغ ج ١ ص: ٣٠٤ و في فتاوى برهه در ملقط گفته از امام ابو بكر جرجاني كه اشتغال بسنت قبل ار دعا اولي تر است و في سنن الهدى و المحهور على ان الاولى الاشتغال بالسنة ثم بالدعاء و عليه عمل أهل الحرمين الشريفين و سائر ديار العرب و في العيني شرح صحيح البخاري فيه مشروعية الدعاء بعد الصلاة ثم شرح النقاية ج ١ ص: ١٠٦ و في فتاوى ابي الليث السمرقندي و يصون بالجماعة ثم

يسعون الله تعالى خوفاً وطمعاً لحوائج الدين و الدنيا و روي عن ابي حنيفة رحمه الله امام المسلمين انه قال اذا دعا لامام بعد الفراغ من الصلاة حول وجهه الى الجماعة و في احياء العلوم قال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير لساعات فعليك بالدعاء خلف الصلاة و ذكر في الهداية و الجمع ارجى في الاجابة و في فتح لعزیز ص: ٥٠ و دعاء جماعة المسلمين اقرب باجاست است و قل العلامة الشامي و يكره تأخير السنة الا بقدر (اللهم انت السلام) و اما ما ورد من الاحاديث في الاذكار عقيب الصلاة فلا دلالة فيه على الاتيان بها قبل السنة بل يحمل على الاتيان بها بعدها سنة من لواحق الفرض و توابعها و مكملاتها فلم تكن اجنبية شامي ج ١ ص: ٤٩٤ السنة. تبع للفرض انتهى فتح القدير ج ١ ص: ١٩١ و اما ما روي من الاحاديث في الاذكار عقيب الصلاة فلا دلالة فيها على الاتيان بها عقيب لفرض قل السنة بل يحمل على الاتيان بها بعد السنة و لا يخرجها تحمل السنة بينها و بين الفريضة عن كونها بعدها و عقيبها لان السنة من لائق الفرض و توابعها و مكملاتها فلم تكن اجنبية انتهى كبير و فتح القدير ج ١ ص: ١٩١ و شامي ح ١ ص: ٣٥٦ و المراقي و الطحطاوي اذكار ص: ١٩٧ و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم حكاية عن الله تعالى في حديث قدسي طويل (قال الرب تعالى انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة) الخ رواه بوداود ثم مشكوة صلاة التسبيح و فتح القدير ج ١ ص: ١٩١ و في قطب الارشاد و يكرر الدعاء و اقله التثليث و في برهة المجلس فالؤمن يرفع يديه الى ربه خمسين مرة اللهم احفظنا من العقائد الوهابية امين.

البحث في اسقاط الصلاة

فاعلم ان اسقاط الصلاة جائز صرح به فقهاؤنا و قال الله تعالى (وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ * البقرة: ١٨٤) و فدية للصلاة ثبتت بدلالة النص لان الصلاة اهم من الصوم و فدية كل صلاة كمدية صوم و الوتر صلاة على حدة فالصلوات في يوم و ليلة ست فاذا صرب الست في يوم السنة الشمسية (٣٦٥ يوماً) حصل الفان و مائة و تسعون صلاة و الفدية للصلاة الواحدة مقدار الفطرة و مقدارها صاع من تمر او شعير و نصف صاع من الحنطة و ان لم يف ما اوصى به عما عليه

يدفع ذلك للفقير فيسقط عن الميت بقدره ثم يهبه الفقير للولي و يقضه ثم يدفعه للفقير فيسقط بقدره ثم يهبه الفقير للولي و يقضه ثم يدفعه الولي للفقير و هكذا حتى يسقط ما كان على الميت من صيام و صلاة و قال شيخ المشائخ فقيه الملة ابو مسعود السيد محمود شاه دام ظله في وجيز الصراط و كل يقول للآخر وهبت هذا القدر لاسقاط ما في ذمة هذا الميت من الصلاة و الصيام و غير ذلك. قال العلامة الشامي في حاشية الدر المختار في باب صدقة الفطر (اعلم أن الحنفية يقولون ان الصاع ابناء يسع ثمانية ارطال من العدس و النش و لا يسع ثمانية ارطال من الحنطة لانه اثقل منهما و الرطل نصف من [بطمان] و المنّ بالدرهم مائتان و ستون درهما و بالاستار أربعين و الاستار بكسر الهمة بالدرهم ستة و نصف و بالثاقيل أربعة و نصف و المدّ و النّ سواء كل منهما ربع صاع الرطل مائة و ثلاثون درهماً شرعياً و الصاع ألف و اربعون درهماً شرعياً و الدرهم الشرعي أربعة عشر قيراطاً و القيراط خمس شعيرات).

[قال في (الأنوار لأعمال الأبرار) في الفقه الشافعي (الصاع بالوزن ستمائة و اربع و تسعون درهماً و صدقة الفطر من كل القوت صاع و مقدار الفدية مُدّ).] هذا الفقير حسين حلمي بن سعيد الأسنابولي جرب و رأى ان خمس شعيرات اربعة و عشرون ساني غراماً. الدرهم شرعي عند الحنفية ثلاثة عرام و ستة و ثلاثون ساني غراماً و نصف الصاع ١٧٥٠ غراماً و فدية صلاة السنة عند الحنفية ٣٨٣٣ كيلوغرام حنطة] و في باب قضاء الفوائت (و لو مات و عليه صوات و صيام فائتة و اوصى بالكفارة يشتري وليه ذلك الحنطة أو قيمته ذهباً مصروباً أو حلياً من ثلث ماله و يحسب مدة عمره بعد اسقاط اثني عشرة سنة للذكر و تسع سنين للنثى لانها أقل مدة بلوغهما و يدفعها للفقير ثم يستوهبها منه و يتسلمها منه لتتم الهبة ثم يدفعها لذلك الفقير أو لفقير آخر فيسقط في كل مرة كفارة سنة و لا بدّ في كفارة الأيمان من عشرة مساكين و لا يصح أن يدفع للواحد اكثر من نصف صاع أو قيمته [من الذهب] في يوم بخلاف فدية الصلاة و الصوم فانه يجوز اعطاء فدية الصلوات و الصيام لواحد ثم ينبغي بعد تمام الاسقاط أن يتصدّق على الفقراء بشيء من ذلك المال و يلزم الولي ذلك بشيء من الثلث ان اوصى و الآ فلا يلزم و لو لم يترك مالا او كان ما اوصى به لا يفي أو لم يوص بشيء و أرد الوارث التبرع يحجبه يستقرض ذهباً و يفعل الدور و لكن ليس ذلك بواجب على

الوارث لو تبرع غير انوارث يحزبه ذلك]. و قال احمد بن محمد اسماعيل الطحطاوي المتوفى سنة ١٢٣١ هـ. [١٨١٦ م.] في شرح السر المختار فما يفعل الآن من تدوير الكفارة بين الحاضرين و كل يقول بآخر وهت هذه الدرهم أو المثاقيل لاسقاط ما في ذمة فلان من الصلاة و الصيام و يقبله الآخر صحيح و قال الفقيه مام الهدي ابو الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ [٩٨٣ م.] حدثنا العباس بن سفيان عن ابن علية عن ابن عون عن محمد بن عبد الله قال قال عمر ايها المؤمنون اجعلوا القرآن وسيلة لنجاة الموتى فتحلقوا و قولوا اللهم اغفر لهذا الميت بحرمة القرآن المجيد و عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم (من مات و عليه صيام شهر رمضان فليطعم مكان كل يوم مسكينا) رواه الترمذي و عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (لا يصوم احد عن احد و لا يصلي عن احد و لكن يطعم عنه) رواه النسائي و العيني. و مجموعة رسائل الشامي و مجمع الاثر صوم ص: ٢٤٢ و السنن الكبرى و الجواهر الفحي ج ٤ و انزلي ص: ٤٩٢ و الدراية ص: ١٧٧. بيت:

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة * و ان كنت تدري فلنصيبة اعظم

و ان كانت الصلوات كثيرة و الحطة قليلة يعطي ثلاثة اصوع عن صلوات يوم و لية مع الوتر الى الفقير ثم يدفعها الى الوارث ثم يدفعها الوارث الى الفقير ثم يدفعها الفقير الى الوارث هكذا يفعل مرراً حتى يستوعب الصلوات و نحوها انتهى كبرى فوائت ص: ٥٨٣ و جواهر النقيس. فان لم يف للوارث ما يستوجب من العير و يستقرض ليدفعه للفقير ثم يستوبه من الفقير و هكذا الى ان يتم خفصود انتهى. مجموعة رسائل الشامي منة الجليل ح ١ ص: ٣١٢. و ان يتبرع الولي به يجوز اهـ الفتاوى الحجة لقاضيهان ثم التضدية و كبرى و المراقبي و الطحطاوي و اللبب و الجوهرة صوم ص: ٤٣٦ و الفاتح صوم ص: ٧٨ و عيني الهداية صوم. [قال في رسالة (نفع الانام في اسقاط الصلاة و الصيام) فان الباجوري^(١) من مات و عليه الصلاة أو الاعتكاف لم يفعل ذلك عنه بل و لا فدية له على المعتمد عندنا و قيل يفدى عنه لكل صلاة مَد و لا بأس بتقليد ذلك فان قلنا الحنفية في اسقاط الصلاة اشهور كان حسناً].

(١) إبراهيم الباجوري من اساتذة الازهر توفى سنة ١٢٧٦ هـ. [١٨٥٩ م.] في القاهرة

النُّقُولُ الشَّرْعِيَّةُ

في

الردّ على الوهابية

جمع الفقير لرحمة ربه القدير مصطفى بن احمد

ابن حسن الشطي الحنبلي مذهب الاثري

مشرقا بالدمشقي موطننا و منشأنا عفر

الله له و لوالديه و مشايخه و اولاده

و المسلمين اجمعين

آمين

و يليه

رسالة في تأييد مذهب ساداتنا الصوفية

و الرد على المعترضين عليهم للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقول الحق و هو يهدي السيل. و الصلاة و السلام على الفاتح الخاتم سيدنا محمد اشرف نبي و اكرم دليل. و على آله و صحبه المتعين لمقاله و حاله و حقيقة امره على التفصيل. صلاة و سلاما دالين في كل بكرة و اصل. و بعد فهذه رسالة و حيرة دعت اليها الحاجة مشتملة على مسائل شرعية غمص فهمها على بعض من الناس ممن استولى على عقله الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس و صار يحسن اليهم اتباع هواء عقولهم و يرين لهم القاء ذلك لكثير من عوام الناس فخوفا على زيغ عقائدهم العظيمة استعنت بحول الله و قوته معتمدا عليه في كشف و ايضاح معانيها بما وقفت عليه من البصوص على ما ذكره الأئمة المؤثوق بهم من خدمة هذا الشرع الشريف المحفوظ من الريخ و الاتحاد بطائفة احبر عنهم عليه الصلاة و السلام بقوله (لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) و هم عبي ذلك و هو في الصحيحين من حديث المعيرة بن شعبة و الله الموفق و المسهل لاسباب الخير و الصواب و قد رتبتها على مقدمة ر حاتمة * اما المقدمة فتحتوي على خمس مقالات (المقالة الاولى) في بحث الاجتهاد و شروطه و الثانية في تقسيم انشرك الى حلي و خفي و كذلك البدعة الى اقسامها مشهورة. اشالة في حياة الانبياء و الشهداء و من اكرمه الله تعالى من عباده في قبورهم و اكرم ليسوا باموات بصحيح الاخبار و صريح الآيات. الرابعة في جواز التوسل و الاستعانة بالاسياء و الصالحين احياء و اموات و اثبات كراماتهم كذلك و ان لهم عند ربهم ما يشاؤون الخامسة في حكم زيارة القبور و جواز شد الرحل اليها سيما لزيارة قبره عليه السلام و الحائمة في طرف من التصوف و نبذة من العقائد الدنيية و غيرها فأقول و بالله التوفيق و بيده ازمة التحقيق.

المقالة الاولى في الاجتهاد

و حقيقته بذل الفقيه الجهد و الوسع في تحصيل الفطن لدرك حكم شرعي على وجه يحسن من النفس العجز عن المزيد عليه كما ذكره في التحرير للقاضي المراد اوي في اصول احتنايلة. اقول قد ذكر جمهور فقهاء المذاهب الاربعة و الاصوليين انه لا يجوز نخلو عصر من يجتهد و انه فرض كفاية و اسندلوا على المطلوب بدلائل مذكورة بمحلها

يطول بسطها نكسهم شرطوا في المجتهد شروطا تأتي غالبها متمق عليه فيما بينهم فالخروج عنه عدول عن الجماعة و السواد الاعظم المنهي عنه بصرائح الاحاديث الصحيحة و لا شك في صعوبة تحصيل هذه المرتبة و استيفاء الشروط في احد سيما في هذا الزمان الكثير الفساد القليل اخير المتبع فيه للاهواء حتى انه منذ اعصار بعيدة لم يظهر من توفرت فيه شروط الاجتهاد و لذ صرح بعضهم باقطاعه و هو الطاهر لعدم ظهور من هو واقف على حدود التقوى خال من الهوا و البدعة في اقواله و افعاله و احواله و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم و قد ذكر جمهور الاصوليين من فقهاء المذاهب المدونة في المجتهد شروطا منها ان يحوى عدم الكتاب و السنة بوجوه و معانيه لغة و شرعا و اقسامه المشهورة و علم السنة متنا و سدا كذلك و وجوه القياس كذلك كما ذكر في التوضيح بصدر الشريعة و قال في التحرير و شرحه المذكور و شرط المجتهد كونه فقيها و الفقيه هو العام باصول الفقه اى له قدرة على استخراج الاحكام من دلالتها و العالم بما تستمد منه اصول الفقه و هى الكتاب و السنة و الاجماع و القياس بالوجوه المذكورة و معرفة الاستدلال و الاصول المنخسف فيها و ما يعتبر للحكم في الجملة من حيث يعتبر ذلك للحكم او من حيث الكيفية كتقدم ما يجب تأخير ما يجب تقديمه لان ذلك كله آلة لمجتهد كالقلم للكاتب و العالم ايضا بالادلة السمعية مفصلة و باختلاف مراتبها فتضمن ذلك ان يكون عنده قوة و سجية يقتدر بها على التصرف بالجمع و التفريق و الترتيب و التصحيح و الافساد فان ذلك ملاك صناعة الفقه و قال حجة الاسلام الغزالي اذا لم يتكلم الفقيه في مسألة لم يسمعها ككلامه في مسألة سمعها فليس بفقيه و يشترط ايضا علمه بالناسخ و المنسوخ و علمه ايضا بصحة الحديث و ضعفه متنا و سدا و ان يعرف من النحو و للغة اى بطريق الملكة ما يكفيه لمعرفة ما يتعلق بها اى الكتاب و السنة من نص و ظاهر و مجمل و مبين و حقيقة و محاز الى آخر الاقسام التي بلغت تفصيلا الى ثمانين قسما و ان يعلم المراد من فحوى الخطاب و دليل الخطاب و لحنه و مفهومه لان بعض الاحكام يتعلق به و يتوقف عليه توقف ضروريا كقوله عليه السلام (اقتدوا بالذين من بعدي ابى بكر و عمر) رواه الشيعة اناكر و عمر بالنصب على النداء فعلى رواية الجرجاني

و هي الثابتة المشهورة هما مقتدى هما و على رواية النصب هما مقتديان بعيرهما و امثال ذلك كثير و قد فرق لفقهاء بين من يعرف العربية و من لا يعرفها في كثير من المسائل في الطلاق و الاقرار. و غيرهما على ما تقرر في موضعه و شرطه ايضا علمه بالجمع عليه و المختلف فيه و مواقع الاجماع حتى لا يقع في مخالفته و علمه ايضا باسباب النزول في الآيات القرآنية و اسباب الاحاديث النبوية ليعرف المراد من ذلك و ما ينطبق بهما من تخصيص او تعميم و شرطه ايضا علمه بمعرفة الله تعالى و بصفاته الواجبة له و تزيهه عن صفات المحدثين و غير ذلك مما يجوز عليه تعالى و بمقتنع و مصدقا بالرسول عليه السلام و ما جاء به من الشرع المنقول عنه بدليل الاجمالي و بالرسول و ببقية السمعيات المقررة في كتب العقائد على السهح المستقيم انتهى من عبارة التحرير و شرحه و نحو ذلك في اصول الشافعية و قريب منه في اصول ابن الحاجب و شراحه من اصول المالكية و اد قد علمت ذلك كله تبي لك انقطاع الاجتهاد في هذا الزمان و ان ما وقع في عبارة بعضهم من عدم انقطاعه محض فرض و تقدير و بين العاريتين خلاف لفظي و بقاء على ما تقرر فمن ادعى في هذا الزمان الاجتهاد فيسأل عن الشروط المذكورة و يبحث في وجودها فيه مثال ما في حادثة ما فان امام عبيها الدليل من الاصول الاربعة بلا معارض بوجه صحيح فحينئذ يسلم له و هيئات لا شك بان من ادعى ذلك في هذا الزمان فعليه امانة ليهتان كما يقع دعوى ذلك من فرقة شاذة نسبت نفسها للحابلة من جهة بحد التي يخرج بها قرن الشيطان كما ورد في الحديث حتى انهم ربما لا يستدلون بالاجماع و لا بالقياس اصلا بل يقتصرون على الاستدلال بالكتاب و السنة بلا فهم منهم لشيء من الوجوه السابقة و لا معرفة منهم بمبادي العلوم فضلا عن مقاصدها و اصولها و يعلمون اولادهم من ابناء شوقهم هذه الدعوى و يجروهم على الاحتجاجات بظواهر النصوص و ترك ما وراء ذلك من جهل و مكابرة و قد يسكرون دعوى الاجتهاد و يحتجون بعبارة شيخ الاسلام ابن تيمية فقط مع ان الامام المذكور قد نخرج من مذهب الحنبي في عدة مسائل نفرد بها و قمى بخصوصها للاجتهاد المطبق الا انه لم يدون على كوها مذهبا له كما دونت فروع مسائل المذاهب الاربعة فمنها ما كان يحب المناظرة فيه و لم يفت به لاحد كمسألة

الغاء مفهوم العدد في الطلاق و انه يقع واحدة و ان كان بلفظ اثلاث او الالف او الاكثر من ذلك و منها تحريم شد الرحل لغير المساجد الثلاثة و منها منع الاستعانة بالانبياء و الصالحين و غير ذلك مما هو مذكور في مواضعه فليست المسائل المذكورة من مذهب احمد و لا ورد فيها رواية عن احمد و نص فقهاء الحنابلة على انه لا يتابع فيها فمن ادعى انه حنبلي المذهب فليس له القول بما قالت به هذه الفرقة المذكورة عن جهل و انطماس بصيرة وفقنا الله تعالى و اياهم لاتتاع سبيل المصطفى عليه السلام الداعي اليها على بصيرة هو و من اتبعه آمين.

المقالة الثانية

في الشرك و البدعة و اقسامهما

اما اشرك فهو قسمان جلي اكبر و هو عبادة الاوثان و الاصنام و خفي اصغر و هو النظر الى الاسباب و اتوقف معها و التعمق فيها مع الغفلة عن سبها و منه الرياء و يسمى الشرك الاصغر كما صرح به في الحديث الآتي و يدرك لانقسامه الى ما ذكر القرآن و الخبر و الاجماع اما القرآن فقوله تعالى (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ * يوسف: ١٠٦) فقد طلق الحق تعالى على اكثر المكلفين من العباد لفظ الشرك في حالة الايمان فلو كان المراد به ما يقابل الايمان و يبايه لزم التناقض في قوله تعالى و هو بديهي البطلان فعلمنا ان المراد به قسم آخر و هو الخفي و اما السعة فقد نرح احمد و الطبراني عن ابي موسى الاشعري رفعه قال حطبا رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم فقال (يا ايها الناس اتقوا هذا الشرك فانه اخفى من ديب النمل على الصفا) و في رواية الاسيوطي في الجامع (الشرك في امتي اخفى من ديب النمل على الصفا) قال شارحه المدوي لانهم ينظرون للاسباب كالمنظر غافلين عن المسبب و من وقف مع الاسباب فقد اتخذ من دون الله اولياء فلا يخرج عنه المؤمن الا بمك حجب الاسباب و مشاهدة الكل من رب الارباب و شار بقوله اخفى الخ الى انه متلاش فيهم وضعهم لفضل يقينهم سيما و فيهم مثل ابي بكر و عمر فانه و ان حطر لهم فانه حطور خفي لا يؤثر في نفوسهم كما لا يؤثر ديب النمل على الصفا و هذا طاهر و تمام الحديث المذكور فقل له من شاء الله ان يقول فكيف نفيه يا رسول

الله و هو اخفى من ديب النمل فقال (قولوا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيئا نعلمه و نستغفرك لما لا نعلمه) و ما رواه احمد عن محمود بن لبيد قال عليه السلام (ان اخوف ما احاف عليكم الشرك الاصغر) قالوا و ما الشرك الاصغر قال (الرياء) و امثال هذه الاحاديث كثيرة جد لا يسعها هذ المختصر المقصود به بيان الحق و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و انصح في الدين للمسلمين و قد مست الحاجة له بسب موافقة بعض اهل العلم لبعض اهل الاهواء و لا حور و لا قوة الا بالله العلي العظيم. و اما الاجماع فقد اتفق على انه لا يكفر احد من اهل القبلة بكبيرة فكيف بمثل ما نحن فيه من نسبة الاشياء لاسبابها و منه الاستشفاع و الطلب بشئ من الخوائج الاحرورية او الدنيوية من نبي او ولي او صالح حي ام ميت مع اعتقاد ان الفعال هو الله تعالى و انه خالق السبب و المسبب و ليس لنا ان نحمل فاعل ذلك على اعتقاد موصل للكفر و لا ان نحكم بكفره بلا سؤال منه عن حقيقة عقيدته بل ليس لنا المحص و التجسس عن ذلك فان نسبة الاشياء لاسباب و ارد بصرائح النصوص فالحاكم بالكفر على مثل هؤلاء هو الكافر الخارج عن الايمان التام لهواه (فان من كفر مؤمنا فقد كفر) كما ورد في حديث ذكره الشرعي عن الثقات في كتابه المورين النرية و ايضا نه قال صلى الله عليه و سلم (كفوا عن اهل لا اله الا الله لا تكفروهم بذنب فمن اكفر اهل لا اله الا الله فهو الى الكفر اقرب) و في رواية فهو اكفرهم فالقول بان الشرك قسم واحد و هو ما يقابل الايمان و بنافيه قول مخالف للنصوص خارق للاجماع و هذه المسئلة هي احدى المسائل الخمس المذكورة في هذه المقالات التي تقول بخلافها الطائفة النجدية المنوه بذكرهم فانهم يصرحون بان من يستغيث بالرسول عليه السلام او غيره في حاجة من حوائجه او يطلب منه او يباديه في مطابه و مقاصده و لو بب رسول الله او اعتقد على نبي او ولي ميت و جعله واسطة بيه و بين الله تعالى في حوائجه فهو مشرك حلال الدم و المال و القليل منهم من لا يطلق لتكفير بمثل ذلك فعلى من اعتقد هذا في المسلمين ما يستحقه من الله تعالى و قد صرح بمثل الترهات و الصلاطات رئيسهم ابن عبد الوهب الشيخ المجدي الذي كان هو السبب في زيع عقائد عامتهم في ضمن رسالة كبيرة ارسلها للجد التقي العالم الورع مرجع الحاملة في وقته حال

حياته المرحوم الشيخ حسن الشطي لينظر فيها و يقرط عليها و في ذلك الوقت كان في مرض شديد فلم يتيسر له رد مقالاتها بالتفصيل فكتب في آخرها بخطه المنور ما منخصه (قد اطلعت على هذه الرسالة المشتملة على مسائل شرعية متعفة بامور ارتكها بعض الناس جهلا لا توجب الكفر اصلا و بعضها ربما يكون حسنا عند التأمل و قد اكفرهم بفعلها ابن عبد الوهاب محرر هذه الرسالة و حكم بحل دمائهم و امواهم عفاهم تحيلها من ظواهر الصوص الشرعية مبيعة عن جهبه و توغنه و سوء ظنه بالمؤمنين فلعة الله عى من اعتقد هذا الاعتقاد فان كفر مؤمنا فقد كفر) و الرذية كل الرذية ما كان من قرب اجله رحمه الله و لم يتيسر له رد مقالاتها بالتفصيل و الله حسينا و نعم ابو كليل و مرة دخل الجلد المذكور جامع بني امية في الشام فسمع عجوزا تقول يا سيدي يحيى عاف لي بنتي فوجد هذا اللفظ بظاهره مشكلا و غير لائق بالادب الالهي فامرها بالمعروف و قال لها يا اخوتي قولي بحاج سيدي يحيى عاف لي بنتي فقالت له اعرف اعرف و لكن هو اقرب مني الى الله تعالى فافصحت عن صحة عقيدتها من ان الفاعل هو الله تعالى وحده و انما صدر منها هذا القول على وجه التوسس و لتوسط الى الله تعالى بحصول مطلوبها منه فقال الجلد تركتها لعلمي بصحة عقيدتها فانظر باصافك الى هؤلاء الجهلة المفرطين و المفرطين المشددين على امة المختار صلى الله عليه و سلم كيف يسوع لهم تكفير المسلمين و حل دمائهم و امواهم بلا موجب شرعي واضح مقدين لاحد الجهلة منهم و هو ابن عبد الوهاب في هذه المسئلة و في بقية هذه المسائل الخمس المذكورة في هذه العجالة فما هي الآطامة عظيمة و ورطة جسيمة و عقيدة حرورية و نزغة شيطانية حفظنا الله و المسلمين من ذلك آمين.

(و اما البدعة) فيها معنيان معنى لغوي عام و هو الامر الحادث المستخرج مطبقا عادة كان او عبادة و هذا المعنى هو المقسم في عبارة الفقهاء و الثاني معنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين او النقصان منه الحادثان بعد رمن النبي صلى الله عليه و سلم و الصحابة بعير اذن من الشارع لا قولاً و لا فعلاً و لا صريحا و لا اشارة و هذه لا تتناول العادات اصلا كيف و قد قال عليه السلام (انتم اعلم بامر دنياكم) بل تقتصر على بعض الاعتقادات و بعض صور العبادات من قول او فعل او خُلُق مع اعتقاد ان

ذلك قرينة و طاعة و الآ فهو معصية لا بدعة و ان يكون ذلك بمجرد الرأي يخرج منها الزيادة و النقصان الواقع ذلك بين المجتهدين فانه عن دليل فهذه البدعة في الشرع دون العادة هي الضلالة المنتهى عنها المرادة بقوله عليه السلام في اثناء حديث العرياص بن سارية (فان كل محدث بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار) و بقوله عليه اسلام فيما روه البخاري عن عائشة رضى الله عنها (من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فقله في امرنا هذا ي ديننا و شرعنا محرج لبدعة في العادة و البدعة في الاعتقاد و هي المتبادرة من اطلاق اسم البدعة و المبتدع و الهوى و اهل الاهواء فعصها كفر كانكار حشر الاجساد و نفي الصفات الالهية مطلقا و الحكم بقدم صور العالم و بعضها ليست به كخير المعراج و لكنها من اكبر الذنوب فعلم منه ان البدعة في العادة ليست بضلالة و لا شملتها الاحاديث ثم ان بعضها مباح و ان كان تركه اولى كاستعمال الماحل و الملاعق و نحو ذلك من انواع الثياب المختلفة و بعضها مستحب كتصنيف الكتب و عمارة المدارس و الربط لتحصيل العلوم النافعة و بعضها واجب كتصنيف البراهين و الدلائل لدفع شبه الفرق الصالة كهذه الفرقة النجدية و لو تنعت كلما قيل فيه بدعة حسنة سواء كان اعتقادا او قولاً و عملاً او حلقة من جنس العادة اذ جنس العادة ليس بدعة شرعا كما ذكرنا لوجدته مأذونا فيه من الشارع اشارة او دلالة و بعضها صراحة من آية او حديث لا يخرج شئ من ذلك عما ذكر اصلا و القصور في عدم الاطلاع فمن ذلك ما رواه الامام احمد و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن ماجة عن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (من سنّ في الاسلام سنة حسنة فله اجرها و اجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شئ) ثم ذكر عكس ذلك بالنسبة للسيئة و قد اخرج البيهقي عن ابي حنيفة نحوه فقد سمي عليه السلام المبتدع للحسن مستمدا فادخله في السنة و هو المشرّع فلا يجوز مخالفته و لا لحكم بان البدعة قسم واحد و انه ضلالة احدا بعموم كل بدعة ضلالة مع هذه المخصّصات فان من المقرر ما من عام لا و حص منه حتى هذه المقالة و الاخذ بكل العمومات من الجهل بقواعد العلم و الشرع الاظهر كما هو شأن الفرقة النجدية مع انهم متدسسون بالبدع الاعادية الكثيرة ربما لا يشذ واحد منهم عنها اما في

ملسه او مأكله او غير ذلك بل اقول ان القول بان البدعة قسم واحد بدعة قولية في الدين ضلالة و اتباع للهوى عن غير دليل و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل.

المقالة الثالثة

في اثبات ان الانبياء و الشهداء احياء في قبورهم

حياة مستقرة و انهم ليسوا باموات

بصحيح الاحاديث و صريح الآيات و جوار ذلك لبعض من يكرمه الله تعالى به من الصالحين و الاولياء و في اثبات كراماتهم احياء و امواتا اما الدليل على الحياة بعد الموت للشهداء فقوله تعالى (وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ * آل عمران: ١٦٩) و اما بالنسبة للانبياء فعدة احاديث بعضها صحيح و بعضها غير ذلك بلغ مجموعها حد الشهرة و يأتي بعضها و ايضا هم أولى من الشهداء هذه الفضيلة العظيمة و المنيعة الجسمية و بالاجماع على ذلك و اما بالنسبة لغيرهم فبطريق لجواز و الامكان و عدم الاستحالة و عدم ورود تخصيص بالأولين و لان النص على الشيء لا يفي ما عداه كما هو مقرر في موضعه و بشهادة الحسن و العيان فانه قد وقع الكشف على قبور بعض الاولياء العارفين و عباد الله الصالحين بعد مدة مديدة من الرماد فوجد اعضا طريا كأنه الآن وضع في حفرة كما وقع و اشتهر عن الامام الجزولي صاحب دلائل الحيرات رحمه الله تعالى و غير واحد من الصالحين فلا ينكره الا مكابر ينكر الحسيات او لا يقول بالكرامات و قد ثبت في صحيح الاخصار الكثيرة ان الانبياء يصون في قبورهم و في بعضها انهم يقرؤن القرآن و في بعضها انهم يحجون كما ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية بلفظ ثبت و روى البحاري في تاريخه و مسم و ابو داود (من رأي في المنام لسيرائي في اليقظة) ففيه التصريح بانه يراه يقظة و انه حي في قبره اعظم حياة و اكملها بل هي حالة اتم و اكمل من الحياة في الدنيا كما هو ظاهر لا عذر عليه و اما كرامات الاولياء فهي حق ثابت بالدلة الشرعية و المشاهدات الحسية و القواطع العقلية و اثباتها و عدم نفيها و اهمالها من العقائد الدينية كيف و في القرآن منها الكثير كقصة مريم الصديقة و قصة الخضر و غير ذلك و قد تواترت

الاحبار تواتر، معنويا بكرامات الصحابة و التابعين من بعدهم و قال الامام بن حمدان في نهاية المبتدئين في اصول الدين و كرامات الاولياء حق و انكر الامام احمد من انكرها و ضلله و الحاصل ان علماء الخنابلة كغيرهم من اهل السنة يجمعون على اثباتها حتى طائفة النجديّة الوهابية مع علوهم يثبتونها للاولياء الا ان البعض منهم ينقصها بالاحياء و لم يثبت لهم دليل التحصيل ابدا قال الشيخ الفاضل العلامة الشيخ عبد الله صوفان النابلسي القدومي تلميذ المرحوم الجد الشيخ حسن الشطي حفظه الله تعالى و هو الآن بالمدينة تحت انتظار الرسول عليه السلام و نفع به في رسالته التي سماها المنهج الاحمد في درء المثالب التي تنمي للمذهب احمد قال عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب في رسالته التي نشرها لعمامة و من خطه نقلت اقول هذا الرجل هو امام و قلوة الفرقة الوهابية و اليه تابعون بزعمهم يقول الذي يعتقد ان رتبة نبينا محمد عليه السلام اعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق و انه حي في قبره حيوة مستقرة ابلى من حياة الشهيد المنصوص عليها في التزويل اذ هو افضل منهم بلا ريب و انه عليه السلام يسمع سلام من يسلم عليه اي و لو من امكنة بعيدة كما هو ظاهر اطلاقه و تسب زيارته الا انه لا يشد الرجل الا لزيارة المسجد و الصلاة فيه و اذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس به اقول هذه قلد فيها ابن تيمية و هي مسئلة ليست من مذهب الحنبلي كما عرفته و ستعرفه بل تفرد فيها بن تيمية ثم قال و من انفق نفيس اوقاته بالاستغفال بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فار بسعادة الدارين و كفى هم و غمه الى ان قال و لا نكر كرامات الاولياء و نعرف هم بالفضل و اهم على هدى من ربه مهمما ساروا على الطريقة المرضية و القوانين الشرعية حياء و امواتا الا اهم لا يستحقون شيئا من انواع العبادة انتهى كلامه بحروفيه. فانظر الى عبارته امامهم المذكور لا تجدها مخالفة لما عليه الجمهور من اثبات الحياة و الكرامة للشهداء و الاولياء و الصالحين بعد وفاتهم كحال حياتهم و هو الموافق للقاعدة المقررة و هو ان البوة و الولاية لا تنقطع بالموت فكيف يسوغ القول الآن من هذه الصائفة او من غيرهم بتخصيص الكرامة في حال الحياة و بنوا عليها تخصيص التوسل و الطيب في حال الحياة فقط بعد هذه الادلة حتى من امامهم المذكور فما هو الا من غبوهم و عنادهم و غلبة جهلهم و اتباع بعضهم ببعض وراثة جاهلية و

نزعة شيطانية سرت فيهم و تمكنت فكأنهم القائلون انا وجدنا اباؤنا على امة و انا على آثارهم مقتدون، و لم نزل على عدم يقين بحقيقة حالهم لاضطرابها هل هم مجتهدون كما يظهر منهم اشارة ذلك باقامة ابرهان بظواهر القرآن و عمومات الاحبار ام مقلسون لشيوخ الاسلام ان تسمية ام لامامهم ابن عبد الوهاب المذكور ام متمذهبون بذهب الامام احمد بن حنبل و الاظهر انه لا يحكم عليهم بشئ من ذلك لمخالفتهم في الاجملة لجميع ما ذكر كما عرفته و تعرفه فسأل الله الهداية لنا و لهم و بمسلمين آمين.

ثم اقول حيث ثبت بالنصوص الصحيحة حياة الانبياء و الشهداء و بعض من اكرمه الله تعالى بذلك في قبورهم سيما في حق الانبياء عليهم السلام من انهم يصلون و يقرؤن و يحجون و نحو ذلك و لا يخفى ان هذه الافعال من صفات الحي و لا يلزم من ذلك ان يراهم جميع اناس بل يحجب الله تعالى اعين الناظرين الغافلين عنهم لما يقتضيه الموطئ الديوي و لتلا يفتن القاصرون من الناس بذلك و لعدم استطاعتهم لذلك فلا مانع من ان يكشف الله تعالى الحجاب عن قلوب بعض الصالحين و الاولياء و ابصارهم بطريق الكرامة هم و يريهم حضرة رسول الله او غيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين عليهم السلام او يجمعه بهم و يكلمهم و يكلموه و يستعيد منهم علوما و معارف و فهو ما في الشرع المقرر و الدين الاظهر الاظهر كما اشتهر عن الحلال السيوطي انه كان له اجتماع برسول الله صلى الله عليه و سلم و كان يسأله عن احاديث وردت في شرعه هل هي صحيحة عنه ام لا و يجيبه عليه اسلام عن ذلك و مثل هذا ورد عن عدد من علماء هذه الامة و اوليائها لا يمكن تواطئهم على الكذب قد علت مقاماتهم و ارتفعت درجاتهم و اشتهرت كراماتهم و صحت في الدين استقامتهم و يدل ذلك ما ذكرنا من رواية البحاري في تاريخه و مسلم و ابي داود المتقدمة من جواز رؤيته عليه السلام يقظة لمن رآه في المنام فكيف لمن وقعت رؤيته له يقظة و قد قال العارف الكامل ابو العباس المرسي قدس الله روحه لو غاب عني رسول الله لحظة ما عدت نفسي من المسلمين الظاهر انه يعي الكامين و لو بسطنا الكلام في هذا المقام لخرجنا عن المقصود و في هذا كفاية لمن له دراية و الله الهادي من الغواية و الموصل للعاية و قد آمنت بهذا انا و كل موفق لعدم منافاته للشرعية المطهرة عند التدقيق و الله ولي التوفيق.

المقالة الرابعة

في جواز التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالانبياء والاولياء والصالحين حال حياتهم و بعد مماتهم والدليل عليها من الكتاب والسنة وعبارات الفقهاء.

اما الكتاب فقوله تعالى (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ * القصص: ١٥) و قوله تعالى (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * النساء: ٦٤) فان قال وهابي هذا محصور بحال الحياة فتقول قد انعقد الاجماع و قامت صرائح الادلة على حياته في قبره عليه السلام كما قدم ذلك مبسوطا فحكم هذه الآية الشريفة منسحب الى الآن و الى ما شاء الله و لذا ترى العلماء جميعا و الفقهاء ذكروا استحباب قراءة هذه الآية عند زيارة قبره عليه السلام كما لا يحصى ذلك على من تتبع عباراتهم انطافحة بذلك فلا حاجة للإطالة بسردها فعلى من يدعي تخصيصها بالحياة الدليل و اني نه ذلك و هناك آيات أخر تشير الى الالتجاء به عليه السلام منها قوله تعالى (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ * الاحزاب: ٦) و قوله تعالى (وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * الانبياء: ١٠٧) و قد فهم ابو البشر آدم عليه السلام من قرن اسمه تعالى باسم نبيه عليه السلام انه الوسيلة اليه تعالى فيوسل به عليهما السلام الى ربه بان يغفر له فعمر له كما ثبت ذلك و اما الآيات التي تمسك بها الوهابية من قوله تعالى (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ * المؤمن: ٦٠) و قوله تعالى (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ * النذاريات: ٥٠) و قوله (وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ * الاسعاف: ١٧) و قوله (وَ لَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * ق: ١٦) و نحوه من حديث (إذا استعنت فاستعن بالله) اني آخره فلا تدل على مدعاهم من امتناع التوسل بالانبياء والصالحين كما هو ظاهر و لان الدين اجمعوا من المسلمين على جواز التوسل بالانبياء والصالحين او استحبابه لا يقصدون بذلك تأثير شئ منهم بايجاد نفع او دفع ضرر و لا يعتقدون ذلك البتة بل جميع المسلمين يعتقدون ان الله تعالى هو الفعال لما يريد و هو الممرد بالايجاد و الاعداد و النفع و الضرر و هو من يسيهي العقائد عندهم فلا يعد من توسل بالانبياء والصالحين ممن اتخذ من دون الله ابداد كما رعموا فكيف يتجرؤن على الاستشهاد على مذهبهم بمثل قوله تعالى (وَ لَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَوْلِيَاءَ * أن عمران: ٨٠) و نحوه فهو من التحريف و وضع الشئ في غير موضعه فان

قلت شبهة من منع اتوسل رؤيتهم بعض العوام يطلبون من الصالحين احياء و امواتا اشياء لا تطلب الا من الله تعالى و هي محل التزع عند الشيخ ابن تيمية لا مطلقا كما هو صريح كلامه في عدة مواضع من كتبه و رسائله لانه استشهد في بعض ما يجوز من ذلك بحديث الصريير الآتي و عبارته و فيه حديث الضرير و هذه جملة معترضة لداعي الحال و يجذونهم يقولون للولي فعل لي كذا و كذا فهذه الانماط الصادرة منهم توهم التأثير لغير الله تعالى اجيب بان هذه الالفاظ الموهمة محمولة على انجاز العقلي و القرينة عليه صدوره من موحد و لذا اذا سئل العامي عن صحة معتقده بذلك فيحييك بان الله هو المعال وحده لا شريك له و اما اطلب من هؤلاء الاكابر احرمتين عند الله تعالى لمقربين لديه على سبيل التوسط بمحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده فان لهم ما يشاؤون عند ربهم كما احرر تعالى بذلك عنهم و لكن مع ذلك لا بأس بان تأمر العامة بسلوك طريق الادب مع الله تعالى بالعبادة موافقة للمقصد بل هذه من الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و لا يصح لنا ان نمنعهم من التوسل و الاستغاثة مطلقا كيف و قد قال تعالى (فَاسْتَغَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ * القصص: ١٥) و اما السنة فقد اخرج البخاري في تاريخه و البيهقي في الدلائل و لدعوات و صححه ابونعيم في المعرفة عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال ادع الله لي ان يعافيني قال (ان شئت اخبرت ذلك و هو خير لك و ان شئت دعوت الله تعالى) قال فادعه فامرته ان يتوضأ فيحس الوضوء و يصلي ركعتين و يدعو بهذا الدعاء (اللهم اني اسألك و اتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه و سلم نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه ليقضيها اللهم شفعه في) فعمل الرجل فقام و قد ابصر و ليس لمانع التوسل ان يخصه بحال الحياة لان الصحابة رضوا الله عنهم استعملوه بعد انتقاله عليه السلام فقد اخرج البيهقي و ابو نعيم في المعرفة عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ان رجلا كان يحتلف الى عثمان بن عفان في حاجة و كان عثمان لا يلتفت اليه و لا ينظر في حاجته فلقى عثمان بن حنيف و شكى اليه ذلك فقال انت الميصأة فتوضأ ثم اتت المسجد فصر ركعتين ثم قل فذكر له لفظ الدعاء المقدم في الضرير ثم رح حين اروح فانطلق الرجل وصنع ذلك ثم اتى باب عثمان فجاء السواب فأخذه بيده و ادخله على عثمان فاجلسه معه على الطنفسة فقال انظر ما كانت لك من حاجة ثم ان لرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال جزاك

الله خيرا ما كان يطر في حاجتي و لا يفت لي حتى كلمه فقال ما كلمه و لكن رأيت
البي صلى الله عليه و سلم و جاءه ضرير فشكا اليه دهاب بصره و ذكر له نحو الحديث
المتقدم انتهى من شرح الخصائص للمنيي رحمه الله فهذا توسل و ساء بعد وفاته صلى الله
عليه و سلم وحديث استشفاة ادم و توسله بالبي صلى الله عليه و سلم قبل وجوده عليه
السلام. ورد من عدة طرق و اخرجه البيهقي و الحاكم و الطبراني في الصغير و 'يونعيم و
ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه و نقل غالها في المواهب اللدنية و
في آخر الحديث كما في رواية فيها فقال ادم يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الولد
هو دى يا آدم لو تشفعت اليه محمد باهل السموات و الارض لشفعناك و روى البيهقي
و ابن ابي شيبة ناسدا صحيح ن الناس اصهم قحط في خلافة عمر رضى الله عنه فجاء
بلال بن الحارث رضى الله عنه و كان من اصحاب النبي عليه السلام الى قبره عليه السلام
و قال يا رسول الله استسق لامتك فاهم هنكوا فاتاه رسول الله صلى الله عليه و سلم في
انعام و اخره باهم يسقون و ليس الاستدلال بالرؤيا فانها و ان كانت حقا لا تثبت حكما
لامكان اشتباه الكلام على الرائي و اما الاستدلال بفعل اصحابي و هو بلال بن الحارث
رضى الله عنه فأتياه لقبر النبي عليه السلام و بداؤه له و طبه منه السقيا دليل على ان
ذلك جائز و هو من باب الاستعانة و التوسل و التشفع و لم ينكر عليه احد من الصحابة
فعلم ان ذلك من اعظم القربات. و روى ابن ماجة و ابن السني ناسدا صحيح عن بلال
قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني
اسألك بحق السائلين عليك) و عن ابي سعيد الخدري (اسألك بحق ممشي هذا اني لم
اخرج اشرا و لا بطرا و لا رياء و لا سمعة و خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك
فاسألك ان تعيذني من النار و ان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت) اقل الله
عليه بوجهه و استغفر له سبعون الف ملك و لم يرل السلف الصالح و من بعدهم يستعملون
هذا الدعاء عند خروجهم للصلاة من غير تكر و مما ورد عه عليه السلام من التوسل قوله
(اللهم اغفر لامي فاطمة بنت اسد و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الانبياء الذين من
قبلي) وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان و
الحاكم و صحيحه في لادكار للامام النووي رحمه الله ما نصه روي في كتاب ابن السني
عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (اذا انفلتت

دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان الله عزّ و حلّ في الارض حاضرا
 سبحانه) وامثال هذا كثير لا يحصر وفيها ذكر كفاية لطالب النجاة دون المعاد والمخادل
 واما عبارات الفقهاء فهي كثيرة لا تسفصى فمنها من فقهاء الحنابلة ما ذكره العلامة
 اخفق العمدة ثلث الشيخ منصور البهوتي^(١) شارح المنتهى^(٢) والاقناع و محشيهما قال في
 شرحه للاقناع قال السامري و صاحب التلخيص لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ
 و العماء المتقين و قال الحافظ بن الجوزي يجوز ان يستشع الى الله تعالى برجل صالح و
 قيل يستحب وهو المعتمد وقال الامام احمد في مسكه الذي كتبه للمروري انه يتوسل الى
 لله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه قال صاحبه الامام لخطير ابراهيم الحربي^(٣)
 الدعاء عند قبر معروف الكرخي الترياق انجرب و جور ذلك ابن مفلح في شرح ماسك
 المنقع و مثله في شرح الغاية و مثله في ماسك الشيخ سليمان بن علي جد الشيخ محمد بن
 عبد الوهاب امام الوهابية المذكور فقد خالف جده بذلك ايضا و نظيره في كثير من كتب
 المذهب يطول ذكرها وقل العلامة القوي الكرمي في دليل لطالب وياح التوسل بالصالحين
 قال شارحه و قد استسقى عمر بالعباس رضى الله عنهما و معاوية يزيد بن الاسود رضى
 الله عنهما و بهذا يطل قول من منع التوسل مطلقا او بغير النبي عليه السلام لان فعل عمر
 و معاوية حجة مبينة و قد قال عليه السلام (ان الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه)
 رواه احمد و الترمذي و لا يقال فيه دليل على امتناع التوسل بالنبي عليه السلام بعد وفاته
 او غيره لان التوسل و الاستسقاء به عليه السلام بعد وفاته كاد معلوما متواترا فيما بينهم
 كما تقدم في حديث بلال بن الحارث و قصه عثمان بن حنيف و نحوه و كما في توسل
 آدم قبل وجوده و هو من باب اولى و قال في ابدع يستحب الاستسقاء بمن ظهر صلاحه
 لانه اقرب الى الاجابة انتهى و قال السبكي^(٤) و يحسن التوسل و الاستغاثة و التشفع
 بالنبي الى ربه و لم ينكر ذلك احد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية^(٥) فانكر ذلك

(١) منصور البهوتي الحبسي توفى سنة ١٠٥١ هـ. [١٦٤١ م]. بمصر

(٢) مؤلف لمنهى تقى الدين محمد الفتوحى الحبسي

(٣) ابراهيم الحربي توفى سنة ٢٨٥ هـ. [٩٩٥ م.]

(٤) ابو الحسن على السبكي توفى سنة ٧٥٦ هـ. [١٣٥٥ م.] في القاهرة

(٥) احمد ابن تيمية توفى سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في الشام

و عدل عن الصراط المستقيم و ابتدع ما لم يقله عالم قبله و صار بين اهل الاسلام مثله انتهى. اقول ان ابن تيمية لم يمنع التوسل و التشفع و انما منع الاستغاثة بعير الله على معنى قصده لا مطلقا بل بمعنى طلب الاشياء التي لا يمكن حصوله من غير الله مثل غفران الذنوب و هداية اقلوب و انزال المطر و انات النبات و اما الاستغاثة بعير الله بمعنى طلب شئ من النبي عليه السلام يمكن حصوله منه فقد اجازه و استدل له بقوله تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته) و عبارته في رسالته في جواب سؤال رفع اليه رضى الله عنه بهذا الخصوص و اما التوسل بالنبي عليه السلام ففيه حديث في السسر رواه السائي و الترمذي و غيرهما ان اعمى اتى النبي صلى الله عليه و سلم و ذكر حديث الصرير المتقدم فلعله رجع عما ذكره لسبكي و في الشفاء للقاضي عياض قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالك في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال له لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ * الحِجَرَات: ٢) و دم قوما فقال (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * الحِجَرَات: ٤) و حرمة ميتا كحرمة حيا فاستكان لها ابو جعفر و قال يا ابا عبد الله أستقبل القلعة و ادعوا ام استقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله و ستشجع به فيشجعك الله و في نسخة فيشفعه الله تعالى قال الله تعالى (و لو أنهم...) و في شرح نور الايصاح للشربلاي الحفي العلامة القوي في باب الزيارة ذكر فيه هيئة السنة و الادب عند الوقوف في مواجهته صلى الله عليه و سلم و فيها و تقول السلام عليك يا سيدي يا رسول الله الى ان قال قد قال الله تعالى (و لو أنهم...) ثم تقول و قد جفناك ظالمين لانفسنا مستعفرين لذنوبنا فاشفع لنا الى ربك و اسأله ان يميتنا على سنتك و ان يحشرنا في رمرتك و ان يسقينا بكأسك غير حرا و لا نادمين الشفاعة الشفاعة يا رسول الله و كذلك ذكر في الاقناع و المنتهى انه يستحب الاتيد بهذه الآية عند زيارته عليه السلام و نحوه في كتاب الشافعية حتى نقل ابن حجر في الصواعق اعرقه ان الامام الشافعي رضى الله عنه توسل بال البيت النبوي حيث قال:

آل النبي ذريعتي * و هم اليه وسيلتي

ارجو بهم اعطى غدا * بيدي اليمين صحيمتي

فعلم مما تقدم ان فقهاء الائمة الاربعة اجازوا التوسل و الاستشفاع و الاستعانة بالانبياء و الصالحين مطبقا في كل ما يصب من حولى تعالى حال حياتهم و بعد نفالهم و مماتهم و كما ذكروه في المناسك عند ذكرهم زيارة قبره الشريف عليه السلام قالوا انه يسن للزائر ان يستقبل القبر الشريف و يتوسل به الى الله تعالى في عمران ذنوبه و قضاء حاجاته و يستشفع به عليه السلام و من احسن ما يقول ما جاء عن العتي و هو مروي ايضا عن سفيان بن عيينة و كل منهما من مشايخ الامام الشافعي قال العتي كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول و في رواية يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه (و لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * النساء: ٦٤) و قد جئتكم مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربى ثم بكى و انشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * قطاب من طيبهن القاع و الاكم

نفسى العداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

قال العتي ثم استغفر الاعرابي و انصرف فغلبتني عيناى فرأيت النبي عليه السلام في النوم فقال يا عتي الحق الاعرابي مشره ان الله غفر له وخرجت خلفه فم اجده و محل الاستدلال ان العلماء استحسنوا الاتيان بذلك المذكور و قد ثبت في الحديث عرض اعمال امته عليه السلام و ان ما رأى منها من خير حمد الله و ما رأى من شر استغفر هم و قد نقل في المواهب اللدنية عن المالكية و الشافعية و الحنفية استحباب الدعاء عند القبر الشريف و قد قدمنا صحة القول به عن أئمة الحنابلة و قد اطل الامام لسكي الكلام في نفل نصوص المذاهب الاربعة في ذلك و هو الحق كما قدما فتلخص و تحصل من هذا جميعه صحة القول بالتوسل به عليه الصلاة و السلام و النداء و الاستغاثة و الاستشفاع اد لا فرق بينهم كما سبق قبل وجوده و في حال حياته و بعد مماته صلى الله عليه و سلم و كذلك غيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين و ن هذا مذهب هل السنة و الجماعة لما دست عليه الاخبار لصحبة لاما معاشر اهل السنة لا نعتقد تأثيرا و لا حلقا و لا اعداما و لا نفعا و لا ضرا لا لله وحده لا شريك له لا لحي من ذلك شئ و لا لميت فلا فرق بين حالتي الحياة و ممات و اما لذين يفرقون بين الحالتين فهم الى الشرك اقرب

و مذهبهم يومه التأثير للحى فقد اخذوا من حيث لا يشعرون و دخل الشرك في توحيدهم شوا، ام ابوا فكيف يدعون انهم محفظون على التوحيد و ينسبون غيرهم الى لاشراك سبحانه هذا بهتان عظيم فالتوسل و التشفع و الاستغاثة كلها بمعنى واحد و ليس لها في قلوب المؤمنين معنى الا التترك بذكر احبب الله تعالى و توسطهم في ذلك على وجه الاسباب العادية و ذلك مثل الكسب العادي فلا تأثير لشيء من ذلك اصلا لما ورد (ان الله تعالى رحم بهم العباد احياء و امواتا) و كما تقول هذه الاكلة اشبعني و هذه الشربة اروني و نحو ذلك و المشيع و المروي هو الله تعالى بهذا السب و قد يتخلل عشيقه الله تعالى و مسألتنا كذلك فالاستغاثة و الطلب في حقيقة الامر من الله تعالى لا من غيره فلا يصح القول بمعناها و اما بدعة مع اجماع الفقهاء على جوازها بل استحبابها في بعض الاحيان كما تقدم و الاجماع حجة قاطعة فقد روى الترمذي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (ان الله لا يجمع امي على ضلالة و يد الله مع الجماعة) و في سنن ابن ماجة عن ابن عمر قل قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (اتبعوا السواد الاعظم فان من شد شد في النار) فنسأله ان يثبت قلوبنا على اتباع سننه و هديه فقد روى الترمذي عن اس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر ان يقول (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) الى آخر الحديث و هذه المسألة مما تعالى فيها و غلط الطائفة الرودية المتقدم ذكرهم و اطلقوا الكفر على فاعل ذلك المذكور و قد ثبت فيما بينا جوازه بل استحبابه و ام الالفاظ المغلوطة الواقعة من بعض العوام الموهمة لتأثير فحملها ظاهر و مثلها كثير في القرآن و السنة من اساد بعض الاشياء لاسبابها و هي من باب ايجاز العقلي كما قدما فلا يجوز تكفير المسلمين بما اصلا و من كفرهم بمثل ذلك فهو الى اكفر اقرب و يجب حمل كلام المسلمين على المحامل الحسنة و لو الى سبعين عملا كما ذكره فما دام يمكن تأويل كلامهم و حمه على محمل صحيح فلا يجوز القول بكفرهم بذلك سيما و هذه المسألة واضحة لا اشكال فيها فلا كفر بها اصلا و هذا من جهن هذه الفرقة الجهل المركب حيث لم تعترف بمجملها بل صفتها العباد و المكابرة مصحوبة بدعوى جهن او ترجيح كما قدما لنسأل الله تعالى لنا و هم التوبة و الحفظ و يجب عليهم الرجوع الى الحق فانه فريضة نسأله تعالى الهناية اجمعين بجاه انبيائه و اوليائه الصالحين آمين.

المقالة الخامسة

في استحباب زيارة القبور و شد الرحيل اليها سيما زيارة قبره الشريف صلى الله عليه و سلم

اما زيارة قبر نبينا محمد عليه اسلام فهي من افضل اصاعات و جل لقربات
وردت بها الآثار و حث عليها النبي المختار و تنافس بها الائمة الاختيار لقوله صلى الله
عليه و سلم (من زار قبري و جبت له شفاعة) روه الدارقطني و كثير من ائمة
الحديث و قد اطان السبكي للكلام في بيان طرقه في شفاء السقام و قوله عليه السلام
(من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) و في رواية (من جاءني زائرا لا عمله
حاجة الا زيارتي كان حق علي ان اكون له شفيعا يوم القيامة) اخرج بعض هذه
الروايات البيهقي و ابو يعى و الدارقطني و الطبراني و اس عسكر و قان في الاقتاع و
المنتهى اللذين هما عمدة مذهب احمد و اذا فرغ يعني الحاج من الحج استحب له زيارة
قبره عليه السلام و قبر صاحبيه ابي بكر و عمر رضى الله عنهما قال في شرح الاقناع
قال ابن بصر الله من لارم استحباب زيارة قبره عليه السلام و صاحبيه استحباب شد
الرحل اليها لان زيارته عليه السلام للحاج لا تمكن بدون شد الرحل فهو تصريح
باستحباب شد الرحل للزيارة ثم لا مخصص لذلك فنقول يجوز شدا لزيارة المشاهد
كلها و القبور و قال في لاقناع قال الامام احمد اذا حج الذي لم يحج قط يعني عن غير
طريق الشام فلا يأخذ على طريق المدينة لانه ان حدث به الموت كان في سبيل الحج اى
يبغي له ان يقصد مكة من اقصر الطرق و لا يتشاعل بعير الحج ثم قال الامام و ان
كان الحج تطوعا بدأ بالزيارة قال ابن بصر الله في هذا اي نص الامام المذكور دليل ان
الزيارة مقدمة في الفصيلة على نفل الحج و على استحباب شد الرحل اليها قبله و
مقتضى عمومها للنساء ايضا و اما التمسح بقبره الشريف فلم يثبت عن احد من الحنابلة
الا ما نقله في شرح الاقناع في الجنائز عن الامام ابراهيم الحربي صاحب الامام احمد انه
يستحب تقبيل حجرة النبي عليه السلام و الامام قد احاط بالسنة فلا بد هناك من دليل
له و حاشاه من ان يحكم بشئ بلا دليل و الله اعلم.

و اما زيارة بقية القبور فقد صحت بها الاختيار ايضا و اتفق على استحبابها
للرجال و الفقهاء من الصحابة و غيرهم فانه ثبت انه صلى الله عليه و سلم كان يكثر من

زيارة قبور البقيع في كل جمعة فتسنّ ريارها بلاعتار و التذكر و لانتفاع الميت بالقراءة
عده و الذكر و لم يخفف اثنان بذلك و اما للساء فيجوز بطريق الصدقة لا القصد لكن
عنى وجه البدلة و امن الفتنة و لو قيل بمنعها في هذا الزمان الكثير الشر و الفساد لقليل
الخير لا يبعد كما نقله بعض المؤرخين سيم و قد ورد عن عائشة الصديقة رضى الله عنها
و عن ابيها انها قالت لو ادرك رسول الله صلى الله عليه و سلم ما احدث لساء اليوم
لمنعهم المساجد فلقبور من باب اولى و هذا في زمناها ففي زماننا من باب اولى و لذا اطلق
بعضهم المنع بالنسبة اليهن و هو حسن لا يشك به عارف بأحوال الزمان اليوم و ربما
يحمل عيبن حديث لعن الله روارات القنور و قد قدما نقل شرح الاقناع عن صاحب
الامام احمد ابراهيم الحرلي انه قال الدعاء عند قبر معروف الترياق المحرب اقول يؤخذ من
هذا تقصد المواضع العاصلة للدعاء رجاء الاجابة و شواهد هذا كثيرة لا تعارض و قال
القسطلاي في المواهب للندية قد اجمع المسلمون على استحباب زيارة القنور كما حكاها
الامام النووي و اوجها اطناهرية و عن لاجماع للرجال فقط فعلم من هذا استحباب
زيارة مشاهد الصالحين و الاولياء و غيرهم و اما شد الرحل لزيارة القنور و المشاهد فهو
مباح لا كراهة فيه في معتمد مذهب الامام احمد و قال في المنتهى و لا قناع و شرحيهما
في صلاة القصر ان السفر يكون وجبا كالسفر لحج و جهاد متعين و مسنونا كالسفر
لزيارة الاحوان و عيادة المريض و زيارة ابوالدين و ساح كالسفر لثروة و فرجة و تجارة
او قصد مشهد او قبر بيّ او مسجد غير الثلاثة انتهى فمعه يعلم ان شد الرحل لغير الثلاثة
مباح لا كراهية فيه و قال في الاقناع و شرحه و يترخص اي المسافر ان قصد بسفره
مشهدا او قصد مسجدا و لو غير الثلاثة او قصد قبر نبي او غيره كولي و حديث (لا تشد
الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا و المسجد الحرام و المسجد الاقصى) اي لا
يطلب ذلك فليس هميا عن شاهدها لغيرها خلافا لبعضهم لانه عليه اسلام كان يأتي قاء
راكبا و ماشيا و يزور لقبور و يقول روروها فاما تذكر الآخرة انتهى كلام الاقناع و
شرح و قوله خلافا لبعضهم اي لبعض أئمة الحنابلة الذين كرهو شد الرحل لزيارة
المشاهد و منعه من الترخص في سفره كابي الوفاء ابن عقيل البغدادي و ابيشيخ تقي
الدين ابن تيمية الحراني و تلميذه ابن القيم و المذهب الصحيح ما قدمناه عن الاقناع و
المنتهى و اجاب بعضهم عن الحديث المذكور ان معناه لا تشد الرجال الى مسجد لاجل

تعظيمه و الصلاة فيه لآ الى المساجد الثلاثة فانها تشد الرحال اليها لتعظيمها و الصلاة فيها و لا بد من تقدير في الحديث المذكور و الآ لاقتضى منع شد الرحل للحج و الجهاد و هجرة من دار الكفر لدار اسلام و لطلب العلم و للتجارة و غير ذلك و لا يقول بهذا احد و يدل على التقدير المذكور آفا التصريح به في حديث سنه حسن و هو قوله صلى الله عليه و سلم (لا ينبغي للمطي ان تشد رحاها الى مسجد يتفي الصلاة فيه غير المسجد الحرام و مسجدي هذا و المسجد الاقصى) و ذكر العلامة القسطلاني في شرح البخاري عند قوله صلى الله عليه و سلم (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد) اختلاف العلماء في شدا لغيرها اى المساجد الثلاثة كالذهاب الى ريارة مشاهد الصالحين و الى المواضع الفاضلة فقال ابو محمد الجويني يحرم عملا بظاهر هذا الحديث و اختاره القاضي حسين و قال به القاضي عياض و طائفة و الصحيح عند امام الحرمين و غيره من الشافعية الجواز و خصوا النهي بنذر الصلاة في غير الثلاثة و اما قصد غيرها لغير ذلك كالزيارة فلا يدخل انتهى كلامه و ما ذهب اليه الشيخ تقي الدين من معه شد الرحال لزيارة امشاهد مطلقا فليس بمذهب للامام احمد و لم يصح رواية عنه فيه و المذهب ما قدمناه عن الاقاع و المنتهى و الشيخ مع علو كعبه في العلوم و تقدمه في المنطوق و المفهوم لا يتابع في مسألتي الزيارة و الطلاق الثلاث على ان المحققين من اصحابه اجابوا عنه بانه كره اللفظ ادبا لا اصل الزيارة فانها من افضل الاعمال و اجر القرب الموصلة الى دي الحلال و هو قريب و الآ فيبعد مع مقدم الشيخ تفصيله السفر للتجارة و الزمة على السفر للزيارة و نحوها و لان مشروعتها محل اجماع بلا نزاع و ايضا حديث (لا تشد الرحال) وارد في النهي عن نذر الصلاة في غير المساجد الثلاثة لاستواء فضيلتها فمن نذر الصلاة في احد المساجد الثلاثة لزمه ذلك و به قال مالك و احمد و الشافعي في البويطي و اختاره ابو اسحق المروزي و قال ابوحنيفة لا يجب مطلقا و قال الشافعي في الام يجب في المسجد الحرام لتعلق النسك به بخلاف الآخرين و من نذر اتيان غير هذه الثلاثة لصلاة او غيرها فلا يلزمه لاستواء فضيلتها فتكفي صلاته في اى مسجد شاء قال النووي لا اختلاف فيه الا ما روى عن ابيث من وجوب الوفاء و عن الحنابلة رواية انه لا يجب و يلزمه كفارة بيمين و غالب هذه العبارة من لقسطلاني في شرح البخاري و الله اعلم و احكم.

رسالة في تأييد مذهب الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الخاتمة) في التصوف و اهله و منشأ الاعتراضات عليهم من علماء الظاهر و الجواب عنها و سبب تعرضي لذلك ما سمعته و ما بلغني من الانكار في هذا الزمان على هؤلاء الاخيار من هذه الفرقة الوهابية و غيرهم من اهل العلم عن جهل منهم بعلم هذه الطائفة الشريفة و ما هم عليه من التوحيد الخاص المطابق للشرعية بالدليل و البرهان و الكشف و العيان كما سيعرفه و بالله المستعان. اما التصوف فقد عرفه سادات هذه الطائفة بتعاريف تزيد على مائة تعريف و مرجعها كلها الى صدق التوجه للحق تعالى و اثبات من لم يزل و نفي من لم يكن على المعنى الذي ستقف عليه ان شاء الله تعالى و ام اهل هذه فهم اهل الوجود و ارباب المعرفة و الشهود القائلون بوحدة الوجود الحق على المعنى الآتي موصح و هم الوف مؤلفة و سأعرض لطائفة منهم هم سادات القوم و رؤسائهم ممن علت مقاماتهم و ارتفعت درجاتهم و استقامت حالاتهم و ثبتت كراماتهم و كانت التقوى زادهم و معرفة الله تعالى و عبوديته مرادهم فنعني الله بهم و المسلمين آمين و سبب شهرتهم بهذا القول دون غيرهم كوفهم تصلّوا لتأليف و تحرير هذه المسألة الایمانية بالادد الالهي و لعل غيرهم لم يؤذن لهم بذلك و قد صدر عليهم الرد من علماء الظاهر لحكمة يعلمها تعالى و اما منشأ اعتراض المعتضين عليهم فهو القول بوحدة الوجود و اما بقية الاعتراضات عليهم فكالفرع لهذه المسألة فلذا طويلا ذكره و اقتصرنا في القل على بيان هذه المسألة التي هي اهم المسائل و بيان نذر قليل مناسب لها و بالحقيقة هي التوحيد الحقيقي الخاص و سر الايمان و الاخلاص الذي لا يمكن عقلا و لا شرعا القول بغيره لمن فهم ذلك على وجهه حق الفهم و هي لب الشريعة المطهرة و عيسه و لكنها في الاعصر المتقدمة كانت غامضة المهم و الادراك بسبب خفاء الاشارة اليها و عدم التصريح بدلائلها لحكمة ما فهم يتبين كشف معناها و لا فك معناها الا في كلام السادات المتأخرين المتشحرين كمثل الاستاذ الكبير القطب العارف بالله تعالى و

الدال عليه شيخ الشيوخ في وقته سيدي عبد الوهاب الشعراوي^(١) بانوار هكذا وجدته يحط الاستاذ الآتي ذكره و مثل سيدي العارف بالله تعالى و الدال عليه انقطب الاوحد صاحب المشرب السليماني الانسي سيدي عبد الغني النابلسي^(٢) و السيد القطب العارف بالله تعالى و اندال عليه السيد مصطفى البكري الصديقي و غيرهم و من غرهم نقلت فاصفى ما يلقى من معاهها بقلب كالخديد او القى السمع و انت شهيد او كف لسانك و اجلس من بعيد فممن تكلم بهذه المسألة من رؤساء هذه الطائفة و هو من اعظمهم عمما و فهما حضرة الوارث الحمدي الكامل العاني عن نفسه الباقي بربه العارف الكبر و الاستاذ الخطير الشيخ محي الدين ابن العربي^(٣) الملقب بالاكبر و انكريت للاحمر و قد تصدى لرد عليه جماعة من كبار علماء الظاهر بطوى ذكرهم لانه غير مقصود فانه من القائلين بما عني وجهها اشعري و قد وافق فيها من تقدمه من كبار رجال هذه الطائفة المباركة المرضية كالاقطاب الاربعة المشهورين الخاضع لهم كل من في وقتهم الى يومنا هذا و المتفق على حسن احواله كدما اهل الملة المحمدية و ابي يزيد البسطامي الذي اذا اطلق لعظ العارف اصصرف اليه و ابي مدين الذي يعبر عنه الشيخ الاكبر بشيخنا و سيد الطائفتين^(٤) الجنيد البعادي و ابي طالب المكي و ابي الحسن الشاذلي و ابي سعيد الحرار و شمس الدين التبريزي و جلال الدين الرومي صاحب المشوي وتلميذه صدر الدين القونوي وهما الدين نقشبند^(٥) و عفيف الدين التلمساني و ابن الفارض سلطان العاشقين و حجة الاسلام كافة الغزالي^(٦) و غيرهم من عظماء الرجال الواصدين الى عين التوحيد و اهل الحقيقة و التجريد لا يحصون عددا الا اهم رضى الله عنهم لم يدونوا في هذا الشأن كثيرا كما دون سيدي الشيخ الاكبر فيه و الطاهر انه لعدم الادن و الا فكان يجب عليهم ذلك كما اخبر به لشيخ رضى الله عنه

(١) هيد الوهاب الشعراوي الشافعي توفى سنة ٩٧٣ هـ. [١٥٦٥ م.]

(٢) عبد الغني النابلسي توفى سنة ١١٤٣ هـ. [١٧٣١ م.] في الشام

(٣) محي الدين العربي توفى سنة ٦٣٨ هـ. [١٢٤٠ م.] في الشام

(٤) سيد الطائفة الجنيد البعادي الحنفي توفى سنة ٢٩٨ هـ. [٩١٠ م.]

(٥) هاء الدين محمد شاه نقشبند توفى سنة ٧٩١ هـ. [١٣٨٩ م.]

(٦) حجة الاسلام الامام العراقي توفى سنة ٥٠٥ هـ. [١١١١ م.]

عن نفسه في الفتوحات و الفصوص و غيرها بأنه ما دوتها الآ عن ادن من حضرة
 ارسون الاعظم صلى الله عليه و سلم و قد كشف في تدويبه لهذه المسألة و غيرها من
 الحقائق عن باطن الشريعة الاحمدية و وضع الكلمات العظيمة القرآنية و بين جوامع
 الكلم المصطفوية عما لا يخطر على قلب بشر و لا تحيط به الفكر و مما هو علم بدني و
 كشف رباني بل هو نفت في روع فما قال شيئا الا عن الله فانه رضى الله عنه بعد
 الخاص اندي يقول بالحق و يسمع به و يصبر به كما احبر به عن نفسه فكل كلامه
 حكم و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا و لنقدم اولا عقيدة هذا الامام اعارف
 الموافقة لعقيدة السلف الصالح التي اخبر بها عن نفسه بقوله سائلي عن عقيدتي احسن
 الله ظله علم الله انه شهد الله انه اشار الى قوله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ
 الْمَلِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَالُوا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * رَ عَمْرَأ: ١٨)
 و مع ذلك هو رضى الله عنه بجهتد مطلق في مذهبه اخاص لفقهه و الاصل الديني
 كما نبه على ذلك في فتوحاته المكية قال فيها اني ذا ذكرت مسألة وافقت فيها مذهب
 الحكيم او المعتزلي او الجبري او خلاهم فليس قصدي تقليد واحد منهم و انما هو مجرد
 موافقة رأيي رأيا و من المعلوم البين ان ليس جميع ما ذهب اليه الحكيم و المعتزلي او
 الجبري باطلا و غير صحيح بل لا بد و ان يكون فيه ما شأنه الصحة و كثيرا ما يوافق
 وضعه في مذهبه الاشرافيين او غيرهم و لنذكر ما يتعلق بالكلام على اساس وحدة
 الوجود مع ادلتها فقول مذهب اهل الحق من هل الله تعالى الوافقين على عين الشريعة
 المطهرة و اسرارها بعد وقوفهم على ظواهرها و اصطلاحات اهل الفنون باسرها و
 اتقاهم لاصولها و فروعها ان الوجود من حيث هو هو اي لا بشرط شئ معه هو الحق
 تعالى و ان هذا الوجود واحد بوحدة لا يزيد على ذاته و انه موجود خارجي فهذه
 دعاوي ثلاث ثابتة فيه عندهم و سنذكر ادلتهم فيها (مسألة) اذا كان لهذا الوجود
 الوحدة الذاتية فما هو في الخارج منه او في الدهن من الافراد فاما هو افراد حصصية لا
 حقيقة كما تقول ان القيام من حيث هو واحد فاد اضيف الى زيد قيل هو قيام زيد و
 الى عمرو قيل هو قيام عمرو و هكذا و اذا قطعت النسبة عنهما رجع القيام شيئا
 واحدا (مسألة) اخرى قد علم من قولنا لا بشرط شئ ان جميع ما يعتبر لهذا الوجود

من كونه كلياً او جزئياً خارجياً او ذهنياً عاماً او خاصاً امراً اعتبارياً او حقيقياً الى غير ذلك من وجوه الاعتبارات ليس يراد به هذا الوجود الحق المذكور لتفيد ذلك و اطلاقه نعم هذا يكون له باعتبار تزلزلاته في مراتبه و ظهوراته فيها كبناء فانه من حيث ذاته لا يزلزل له فاذا ظهر بالاولى المتلوة تبعها في اللونية فليل فيه احمر و احضر و اصمر و هكذا فلا يرد ما وقع في كلامهم رضى الله عنهم من ان العالم هو الحق او ان الكل هو تعالى فالمخلص من هذا ان يقال ما دام العالم خصوصياته كهذا زيد و هذا عمرو و نحو ذلك فهو غير الحق قطعاً و هو كهم باجماع لطائفتين حيثئذ و اذا قطع النظر عن الخصوصيات و اضمحلت و كان الحق من ورائها وحده لا غير رجوع العالم الى انه هو الحق تعالى و هو حقيقة الايمان و بعب الشريك لان الوجود لله وحده كما ذكر و ايضاح ذلك في ذكره الاستاد الشعراوي رضى الله عنه في كتبه الموازين النورية ان للحق تعالى مرتبتين مرتبة الاطلاق الحقيقي المزه عن كل قيد حتى عن الاطلاق فانه قيد له و هو مزه عن القيود و هو في هذه المرتبة ثابت له الغنى عن العالمين و لا خيرة للعالمين به و لا معرفة و لا اشارة بدا و المرتبة الاخرى مرتبة التقييد و هو المظاهر سبحانه و تعالى بها للعالمين به في كل صورة محسوسة و معقولة و موهومة فهي ثابتة له بوجه التزلزل بمقتضى قوله تعالى (الله ما في السموات و ما في الارض) و قوله تعالى (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ * النمل: ٩١) بلا تأويل اي مظهر له فكل صورة مما ذكر هي مظهر له و هو قيومها و هو من حيث اصلاقه و احديته و عنائه عن العالمين مزه عنها و باعتبار هذه المرتبة تثبت له صفات التشبيه كظهوره بالصور المختلفة يوم القيامة الثابت بالاحاديث الصحيحة و المشي و الهرونة و التعجب و التشبث و غير ذلك مما ورد بلا تأويل لها و اخرجها عن المتبادر منها بلغة العرب التي نزل القرآن بها و كشف هذا المعنى و فك هذا الرمز يظهر بمثال حسبي ذكره الاستاذ العارف سيدي عبد العتي البابلسي رضى الله عنه في بعض مؤلفاته و هو الصورة داخل المرأة اذا قابلها شخص فيظهر للرائي صورته داخل المرأة كأنها هو حتى انه ربما يظنها القاصر العقل او الصغير اما هي فلا و يادبها باسمه و ربما يمد يده اليها راعماً اما هو و اخاها مظهر للحقيقة التي تقابلها و مثالها ليست هي هو في نفس الامر بل هو مزه عنها و لا مناسبة بينها و بينه بوجه من الوجوه و

بذاتها تعطي التثنية له و لذا يمينها تكون شمالا له و بالعكس و من البين انه لا يلزم من ظهور اشئ بصورة المرآة تحوله في ذاته و لا اتصاله بها و لا حلوله فيها و لا اتحاده و لا تغيره عما هو في ذاته بوجه من الوجوه لانها محض مظهر له و صورة معدومة في الخارج مقدرة مفروضة لا وجود لها فيه بل لها الثبوت ما دامت تلك الحقيقة ماسكة لها بمقابلتها لها كذلك ظهور الحق تعالى بصور العوالم بأسرها و الله المثل الاعلى و الآ نزه ابد الأبدى و دهر الدهرين انما هو محض تجل و انكشاف لا يلزم منه ان يتصل بها او يحل فيها او يتحد معها و لا مناسبة بينه و بينها بوجه من الوجوه لانها محض صور و تقادير عديمة مفروضة لا وجود لها بالنسبة للحق تعالى تجلى لها فظهرت على صورة ما في علمه القديم الارلي فلها الثبوت في العلم لا الوجود في الخارج كما اذا صور الانسان في نفسه و عقده صورة ما فما دامت هذه الصورة المتخيلة ممسوكة في ذهنه فيها الثبوت و اذا صرف النظر عنها على افرض و التقدير كانت معدومة و ليس لها وجود خارج الذهن و بالنسبة ليه هي معدومة باطلة فكيف تحل الحقيقة في العدم او تتحد به هذا مما لا يتصوره العقل فضلا عن النقل لان الحلول و الاتحاد لا يتصور و لا يمكن الا بين شيئين حقيقين مستقلين بالوجود و قد ثبت بالعقل و النقل عدم وجود شئ مع الحق تعالى بل لها الثبوت فقط فلا حلول و لا اتحاد و لكونها ثابتة غير منفية صح خطابات الله تعالى لها بقوله (اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَا ارَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * النحل: ٤٠) و لا يخاطب الا ثابت فيكون المعنى د اردنا ابرر شئ و اظهاره من حضرة علمنا الثابت فيه الغير الموجود في الخارج ان نقول له ارز و اظهر فيبرز و يظهر يتجلى الحق تعالى عليه بوجوده و بمده له بفيض وجوده و يكون بقاءه بقيومية الحق تعالى عليه و امداده فهو كظل الشجرة بالسبب لاصلها و لو ثبت له الوجود بالاستقلال لم تثبت له صفة الافتقار للحق تعالى و هي داتية له في كل لحظة و اقل من ذلك و بهذا المقدار اعني الثبوت المذكور صح التكليف و تم التشريف و يأتي لهذا تمام على الله تعالى بلوغ ابرام اللهم الهمن رشدنا و اعذنا من شر نفسنا و ليرجع الى ما كنا فيه من بحث لوجود فنقول ثم ان هذا الوجود الحق يستره في اول مراتبه عن كل قيد و تعين فانتهى العلم به حينئذ لذلك و انما دلت رسله تعالى عليه و الحالة هذه و لولا الرسل لم يعلم بحال في

تلك المرتبة التي لها الاطلاق الحقيقي فلا اسم له هن و لا رسم و هذا شأن الدات
الاحدية قال تعالى (قل هو الله احد) اشار بصمير الغيبة الى الغيب المطبق الذي ينمي
التعين و العلم و انه هو الله احد ثم ان التعين و المعرفة كانا به تعالى باعتد و احديته و
هي الحضرة المقيدة المذكورة سابقا و عدد تجلياته بصورها الاسمية و الصفاتية التي لا
تنتهي فالمرتبة الاولى هي الكثر المحضي المشار اليه بقوله في الحديث القدسي كما ذكره
حضرة الشيخ رضى الله عنه و غيره (كنت كذا محضيا) و المرتبة الثانية محبة مرتبة
(فاحيت ان اعرف) فكأن هذا الوجود هو المعلوم المجهول اي المجهول من حيث
الحقيقة و الادراك و المعلوم من حيث التحليات و الظهور بالمظاهر كما قدما قال عليه
السلام (سبحانك لا احصي ثناء عليك) اي لا ابلغ كل ما فيك و قال (ما عرفناك
حق معرفتك) و قال تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ثم لما كان لهذا الوجود الحق
الاعتبار ان السابقات اي اعتبار حضرة الاطلاق الحقيقي من حيث احديته و عدم العلم
به و اعتبار حضرة التقييد من حيث واحديته و العلم به من حيث مظاهره و تجلياته
الدالة عليه بانه لا اله الا هو توهم من توهم من هذين لاعتبار ان الوجود كله
طبيعي عند القوم لا وجود له الا بوجود افراده و رتبوا على ذلك لوازم باطلة تخل
بانتوحيد و هذا التوهم مدفوع كما بينا من ان له الوجود الخارجي على كلا الحالين
الا انه في الحالة الاولى لم يعلم اصلا الا بدلالة الرسل عليه و لا يزعم من عدم العلم
بالشيء عدم ذلك الشيء في الواقع مسألة قولهم ان الوجود من حيث هو هو الحق اي
يعبرون عنه تعالى بهذا الوجود حيث لم يكن شيء ترجع اليه كل الاشياء في جميع مراتبها
الا هذا الوجود المطلق عن كل قيد حتى عن قيد الاطلاق فانه تقييد له و هو ايضا
المتقييد بكل قيد اي من حيث التحلي و الظهور كما مر ثم ليعلم ان ادراك علم
التصوف يكون باحد طريقين الطريق الاول و هو الاعنى هو الذوق و الحصول بالثفت
في الروح و لثاني يكون بالاخذ من الكتب المسونة للقوم اما بالفتح الالهي و بتعليم
شيخ عالم به او ذائق و هذا الوجه يعد من الكشف كما ذكره حضرة الشيخ في
فتوحاته المكية و لا خفاء فيه لانه علم و العلم صفة تكشف بها المعلومات و قد امر
رضى الله عنه هو و غيره من سادات القوم بمطالعة كتبهم المتنهى لفهمها على وجهها و

مؤمن بها و اما هي بعض المشايخ بعض تلامذته عن مطالعتها فلما لعدم اهليته فخورا على زيغ عقيدته هاه عنها او لانه يشعله ذلك عما امره به من الاوراد حالة السلوك فهو انفع له من غيره كما ذكره سيدي انعارف النالسي في شرح ديوان ابن لفارض^(١) و غيره و الطريق الاول عليه المعول فان الطريق الثاني لا يخلو عن خبط و حيرة ثم ان اهل الكشف و الشهود لما رأوا الحال على ما هو عليه في الامر الالهي عبروا عنه بالعاظ كيفما اتفق و لم يتحاشوا عما يرد على ظواهره كقولهم ان الحق تعالى هو الوجود من حيث هو هو فأنهم بالمشاهدة و العيان رأوا ان الحق تعالى الوجب الوجود هو الذي قامت به السموات و الارض و ما بينهم بل هو فيوم كل شئ فلم يروا شيئا يعم هذا الامر و يماسه الا الوجود المتزه عن كل قيد فعبرو عنه بهذا اللفظ و كقولهم عند ما رأوا انه تعالى لا يخلو شئ عنه ان العارف لا يكون عارف حتى يرى هوية الحق سارية في كل شئ اي بلا سريان بعد فناء كل شئ في العيان و مرها قال الصديق الاكبر رضى الله عنه ما رأيت شيئا الا و رأيت الله قبله او بعده او فيه كما نقل عنه ذلك ثقات هذه الطائفة و هذا بظاهره حلول كما ان الاول بظاهره صفة و امر اعتباري و كقول الشيخ الاكبر عد ما رأى ان كل شئ لا بد و ان يرجع بباطنه الى الحق شعرا.

الرب حق و العبد حق * يا ليت شعري من المكلف

ان قلت عبد فذاك ميت * او قلت رب ان يكلف

و هذا بظاهره اتحاد و شرك فيهذا و امثاله غلط من غلط و هم قسبان متصوفة مشغوفون بمطالعة كتب القوم و يتكلمون بما يتكلمون به و هم جهلة لا يدرون مبادي العلم فضلا عن مقاصده و يزعمون اهم على احاصل و هم على العائت و هؤلاء هم الجهلة المارقون من الدين يصدق عليهم قوله تعالى (أُولَئِكَ كَانُوا لِنِعْمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ * لاعراف: ١٧٩) و مثل هؤلاء يكونون علة غائية للتكلم و الاعتراض على القوم و القسم الثاني من هو من اهل العلم الا اهم ليس لهم هذا المشرب العذب فيسمع كلاما ظاهره الحبول او الاتحاد او انه مخالف لظاهر الشريعة في الجملة فيقول على القوم بحسب ما ظهر له من كلامهم اهم حلولية او اتحادية او اباحية او وجودية او زنادقة و

(١) عمر ابن الفارض توفي سنة ٦٣٦ هـ [١٢٣٨ م.] في القاهرة

حاشا مقامهم من ذلك و من العلماء من التزم الادب معهم و سكت و وكل العلم في شأن كلامهم اية تعالى لعدم احاطة احد بجميع المعلومات و احبهم و سلم لهم و هذا هو المنهج الاسلام و لاول على خطر عظيم و على كل حال فشأن كلامهم الاشارة لا صريح العبارة بل لهم رموز حفية لا تدرك الا من طريق الكشف و الذوق الصحيح الا انه قد اشتهر فيما بين العلماء باحوال كلامهم ان الممارسة على مطابقة كتبهم بمحة و صدق و تسليم لمن له نوع اهلية نورث نوع فتح الهي فيها سيما كتب الشيخ الاكبر رضى الله عنه و ان من شأنهم في تأليفهم ان يفسروا بعض كلامهم السابق بالبعض اللاحق كما يقول الشيخ في فتوحاته و هذا معنى كلامي فيما تقدم كذا و كذا فمن هذا يحصل للتأمل ادراك الباقي في الجملة و يذهب منه ما توهمه اولا فأفهم رضى الله عنهم ما تكلموا في كتبهم بشئ قد احاله العقل السليم او خالف الطريق المستقيم و مرجع كلامهم لعلم اللدني الوارد في القرآن و السنة يظهر لمن فتح الله عين بصيرته و كان له قلب او القى اسمع و هو شهيد كما ذكره الشيخ في الفتوحات و غيرها و انما يحجب فهمها عن غير هذين القسمين من اهل الحجاب و الفهم اسقيم او عن منكر اساء الظن بهم فصاحب القلب و العين و العقل لسليم او صاحب حدهم هو الذي يسقى من رحيق كلامهم المختوم و يتنافس في درر منانيه و جواهر معانيه فانه ايمان صرف و عبودية خالصة سيما عبارات الشيخ الاكبر و ترجمانه العارف البابلي.

امولاي محي الدين انت الذي بدت * علومك في الآفاق كالغيث اذ هي

فكشفت معنى كل علم مكنم * و اوضحت بالتحقيق ما كان مبهما

و حيث فهمت مما سبق معنى الوجود عندهم اندي هو أهم مسألة في هذا اعلم و فهمت معناه عند غيرهم من انه امر كلي طبيعي ظهر لك اختلاف الموضوع و بطلت اللوارم الواردة عليه على ان لازم المذهب ليس بمذهب و اذا اردنا التفصي عن مفردات الاعتراضات و اللورم و التصدي لردها خرجنا عن المقصود من بيان الحق و النصيحة للمسلمين و لا تسعه المجلدات ففي هذا القدر كفاية لطالب الهداية او متعرض للوغ العاية و الله الهادي و عليه اعتمادي * و لنرجع الى نقل بعض الادلة السمعية على اثبات وحدة الوجود لحق و ان ما سواه فان باطل بالنسبة ليه مما ذكره علماء هذا

الغن فمهما ما وقع في القرآن العظيم و السنة المطهرة اما اقرآن الكريم فبقوله تعالى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * الرحمن: ٢٦) و قوله تعالى (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ * القصص: ٨٨) اي وجه الحق المتوجه به على ذلك الشيء و قيومه او وجه الشيء و هو عينه الثابتة في علمه تعالى ازلا و ابدا العبر الموجودة في الحارح على ما قاله رجال هذه الطائفة و هو وجه طاهر لا تنافيه الشريعة المطهرة و بيانه ان لفظ هالك اسم فاعل و هو حقيقة الحال كما هو مقرر في موضعه فهلاك الاشياء من حيث هي شياء حالي و بقاء الوجود ثابت بحكم هذا الاستثناء و قوله تعالى (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ * يونس: ١١١) مع قوله تعالى (وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ * الانعام: ٣) حقيقة ذلك واحدة و هو الوجود الحق المحيط بها و انظهر فيها مع كونها معدومة اذ لا يلزم من ظهور الحقيقة الواحدة بصور معدومة متكررة كثرتها في نفسها و تعددها او انقلابها معدومة او نحو ذلك من حلول او تحاد كما مثلنا من ظهور صورة الشاحص عند مقابلته للمرأة و كذلك عند مقابلته لجملة مرائي مع التزبه التام و لله المثل الاعلى و الاتيان بغى لضرورة التعبير و اما السنة فمنه قوله عليه الصلاة و السلام اصدق كلمة قالها ليبد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) اي بالنسبة للحق و السنة طافحة بمثل هذا فان قلت بمهم من هذا الكلام المتقدم راجعه ان الاشياء حيالات و اوهام باضلة لا حقيقة لها و هو مذهب قوم ضالين فالحجاب ان هذا راجع الى اصل لا بد من بيانه اولا حتى يظهر مرادهم في ذلك و هو ان حقائق لممكنات و ماهياتها عبارة عندهم عن الصور العلمية المسماة بالاعيان الثابتة لثبوتها في العلم و عدم براحها عنه حيث انها لم تشم رائحة الوجود الخارجي فضلا عن كونها موجودة و مجموع هذه الصور هي احضرة العلمية و هي صور سمائه تعالى و صفاته و لو شئت هذه الاعيان من رائحة الوجود الخارجي لرم حدوثها و يبرم منه حدوث العلم القلسم و هذه الحقائق هي المراتبي التي طهر بها ظل لوجود الحق او هو مراتبها و هي ظهرت به قولان و انما قيل ان ظل الوجود هو الصاهر لا نفسه لان الوجود الحق في مرتبة احديته الارلية لا تعلق له بمظهر ابدا و ظهوره انما يكون باعتبار تحلياته على حسب شؤنه لا باعتبار ذاته فكان الصاهر ظله لا هو في هذه المرتبة الواحدية و الى هذا الاشارة بقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ * الفرقان: ٤٥) اي ظل الوجود على الاعيان و بر شاء لجعله ساكنا اي لا ثر له و لا ظهور فحصل

لهذه الاعيان بهذا الامتداد الوجود العلمي فكانت صور اسمائه تعالى و صفاته فهي بياصها وجود حق و بظاهاها خلق فهي الحق الخلق عندهم قال السيد الكرّي.

الهي باهل الذكر و المشهد الاسما * بمن عرفوا فيك لمظاهر بالاسما

ثم ان هذه الحقائق انبي امتد عليها ظل الوجود العلمي سألت بلسان حالها الذي هو البغ من لسان المقال من حصرة الواجب تعالى صهور آثرها و كمالاتها الخارجية و ذلك عند استعدادها و قبوها لذلك فرجها فتجلى ايها بما سألتها فافاص عليها من خزنة جوده فالبت آثارها حلل الوجود الخارجي فظهرت به هذا المكون الغيبي و احسني ظل هذه الاعيان حقائق المكونات و ماهياتها و لي ذلك الاشارة بقوله تعالى (اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَا ارَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * السج: ٤٠) فالشيء المأمور مخاطب بقوله كن هو هذه الاعيان و هذه المظاهر الحسية ظلالتها قال الشيخ الاكبر بل ثم شيء فصار كوننا و كان غيا فصار عيننا و من هنا قال ايضا انا القرآن و السمع المثالي و روح لروح لا روح الاواني اذا تقرر هذا و فهمته حق الفهم عرفت ان معنى كون المكون عدما محصا او تخيلاً معناه انه راجع من هذه الخيئية الى العدم لانعدام حقائقه في الخارج و الراجع الى العدم عدم نعم هو باعتبار ان وراه الوجود الحق حيث ظهر هذا المكون به موجود قطعاً لظهوره بظل الوجود الذي انطبع هو به فالمكونات موجودة باعتبار ظهورها في الوجود و معدومة من حيث انفسها فيها الوجود المستعار و اما مذهب القوم الضايير فالمكونات لا وجود لها بحال فين اندهين كما بين المشرقين و المغربين و قد اثبت الشيخ الاكبر وجود الاشياء على الوجه المذكور بقوله في خطبة فتوحاته المكية الحمد لله الذي اوجد الاشياء عن عدم و عدمه و فهم فظهر من هذا و ما قبله ان اهل الله تعالى تارة يقولون ان العالم هو الحق و لا تنسى المراد منه و تارة يقولون انه عدم و تارة يقولون هو موجود و غير الحق على حسب اعتباراتهم فيه و فيما ذكر الاشارة بقوله تعالى (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَاِذَا هُوَ زَاهِقٌ * الانبياء: ١٨) فانكونات حق و باطل و الحق كل من يدع الباطل فيزول ثم يأتي اخرى تتحل ثان يشبه الاول و هكذا و بسبب المشاهدة يحصل انبس قال تعالى (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * اسقرة: ١٨٧) اي التباس جهلهم بالتحديات الالهية و تجددتها

و من ادية اسسه ايضا قوله صلى الله عليه و سلم (كان الله و لا شيء معه) فالوجود الحق كائن و لا شيء معه فان للاشياء الثبوت و الظهور لا الوجود مع الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و ان كثيرا من العلماء صرحوا بالفرق في معنى الوجود بين اهل الحق و اهل النظر فقالوا ان الوجود عند اهل النظر امر اعتياري عارض للماهيات و فيوم لها فيقول اهل الكشف للون لبحمر فان قلت تعدد الممكنات و تكثرها يفضي الى تكثر الوجود و انقسامه و يناقض القون بوحده فيحجب عن ذلك عما مثله سيدي الشيخ الاكبر في فصوص الحكم بقوله ان الاعداد المتكثرة المقسمة في الظاهر هي في الحقيقة عبارة عن الواحد مكررا فلا تعدد و لا انقسام في نفس الامر و هذا التعدد و التكثر و الانقسام اما هو باعتبار ظهور الواحد في مراتب العدد و ذلك ان الواحد في اول مراتب العدد واحد فاذا ظهر في المرتبة الثانية من مراتب الاعداد قيل فيه ثان و هكذا الثالث و الرابع الى ما لا يتناهى فما تكثر الواحد ايدا و لا يقسم و انما ظهر في مراتب حكمت عليه بالكثرة و لتعدد من غير ان يكون ثلث لوحده و متى لم يقسم العدد لم يقسم المعدود و هكذا القول بالوجود الحق فانه شيء واحد ظهر عند تجليه في مظاهر اسمائه و صفاته بصورة المتكرر المنقسم من غير ان يقسم في ذاته (تمة) تتعلق بالمقام و هي ان الاشعري رحمه الله قد ذهب الى تجدد الامثال في العرض فان العرض لا يبقى زمايين عنده كما هو مقرر و الى ان لعالم كله يرجع الى جوهر واحد فيكون ما ذكره قريبا مما ذكره الشيخ رضى الله عنه و متابعه من القون بوحدة الوجود و تجدد الامثال و ان اختلعا باعتبار ما و قد عمت ان تجدد الامثال تابع لتجدد التحليلات قل الله تعالى (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * الرحمن: ٢٩) اي كل آت و الله اعلم بما يكون و ما قد كان .شكالك ذكر حضرة الشيخ في فتوحاته المكبة وفي فصوص الحكم ان من عد شيئا فما عبد الا الله واما كان خطؤه في طريق لعبادة حيث لم يؤذن فيها على هذه الطريقة فالجواب عنه انه حيث علم مما تقدم ان الاشياء كلها راجعة بباطنها الى الحق تعالى لانه وجودها القائمة هي به مع قطع النظر عن خصوصياتها واعتباراتها على ما وضح سابقا و ان العالم من حيث هو عالم غير الحق تعالى قطعاً و له العدم و الافتقار الذاتيان له لا يفارقانه بحال من الاحوال كما ان للحق تعالى وجوب الوجود و انعي المطلق لا اله الا

هو ولا معبود في الحقيقة و نفس الامر سواء و رجوع العالم اليه تعالى من وجه و هو من ورائه بمقتضى قوله تعالى (وَ اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * البروج: ٢٠) و هو قيوم كل شئ بمقتضى قوله تعالى (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ * الرعد: ٣٣) و قوله (اللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) صح قوله رضى الله عنه بان من عبد صمًا مثلاً فما عبد في الحقيقة إلا الله بشهادة قوله تعالى (وَ قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا * الاسراء: ٢٣) اي حكم لان القصاء معناه الاولى المتبادر الحكم لا الامر على ما ذكره اهل التأويل فان مذهب الشيخ الاخذ بظاهر القرآن و السنة لكونه خطيباً للعربي و انعمي و هذا هو مذهب سلف الامة و ائمتها الاربعة و غيرهم ثم نقول لا يلزم مما ذكره الشيخ صحة عبادتهم و جواز تقريرها و نفي اشراكهم و لا يقول هو به فانه ذكر في فتوحاته المذكورة ان الله تعالى شرع لنا ان لا نعبد في شئ منها اي المعبودات المفعولة و ان عمدنا ان الله تعالى عينا اي من حيث رجوعها اليه تعالى في وجودها مع قطع النظر عن خصوصياتها كما ذكرنا و عصي من عبده في تلك الصور و حرّم على نفسه المغفرة له فوجبت المؤاخذه في الشرك و لا بد لعدم الاذن من الحق تعالى و صرح ايضا في عدة من كتبه بان عدة الاوثان كان كفرهم و مؤاخذتهم بسبب أنهم ما عبدوا إلا الصور لان نظرهم لا يقع الا عليها فعلم من هذا ان معنى انقول بوحدة الوجود الحق على الوجه المذكور غير مخالف للشرعية المطهرة بل هو عينها و لبها و كذا ما كان تابعاً لها من مسائل الحقيقة عند التأمل و الفحص و من المعلوم عند كل احد ان كل حقيقة حالمت الشرعية فهي باطلة بلا شك كما ان كل شرعية بلا حقيقة فهي عاطلة و التحقيق بما هو الكمال كما نقل ذلك عن الثقات من الرجال اصحاب القول و الحال و الى الله تعالى المرجع و المال و علم من ذلك ايضا خطأ من يطعن على العارف الموما اليه و غيره من رجال هذه الطائفة المباركة و يسبهم الى الكفر و الاشراك و نحو ذلك فانهم كلهم على عقيدة سلمية محمدية تلموها من عين الشرعية بالكشف و العيان بعد الدليل النظري و البرهان فهم و الله الاثمة اهادون المهديون و العلماء العاملون المخلصون تبرؤا من الشرك الجلي و الخفي و اتقوا الله فعلمهم من لدنه علما كما قال لم يقف عليه الآخرون فلا يجوز سوء انظر بهم و نسبتهم لما هم بريئون

منه بصريح كلامهم بمحرد اقامهم مع عدم الوقوف على معاني ما اتوا به من العلم
اللدني و الكشف اليقيني من حقائق لتوحيد الميرهن عليه بالادلة السمعية و احوال
الارادة و التجريد الحارية على الطريقة المرضية قال الله تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * الاسراء. ٣٦) شعراً.
و اذا لم ترَ الهللاً فسلم * لاناس راوه بالابصار

و لا يجوز الخوض فيما ذهبوا اليه سيما من اهل هذا الزمان القليل الخير الكثير
الفساد على اهله فيه الجهل و اعتقاد السمة بدعة و بالعكس و اكثرهم لا يعرف مبادي
العلوم فضلاً عن مقاصدها كهذه الفرقة الوهابية فانهم يتظاهرون بالاعتراض على القوم
مقلدين للبعض عن جهل منهم بكلام الفريقين و بانه لا يجوز التكلم و الاعتراض على
اربابها و لا تقليد من تكلم و لا متابعتة سيما و قد اتصحت مقاصدهم فيما وقع في
كلامهم مما يوجب الاعتراض على اربابها و مخالفة الشرع و من المعلوم انه لا يجوز ذم
احد على كلام صدر منه و له محمل حسن او صحيح و لو الى سبعين وجها سيما من
مثل هؤلاء السادة الاخيار الحافظين لحدود الله و المتابعين لآثر حاتم النبیین عليه الصلاة
و السلام و القدم بالقدم في قانه و حاله و حقيقة امره و قد استقامت احوالهم و زكت
نفوسهم و ثبتت كراماتهم و علت درجاتهم و صارت حقيقتهم عين شريعتهم كما هو
في نفس الامر كذلك فرضى الله عنهم و رضوا عنه شعراً.

و ما عليّ اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن احق عدوانا

و الله و الله و الله العظيم و من * اقامه حجة للدين برهانا

ان الذي قلت بعض من مناقهم * ما زدت الا لعلّي زدت نقصان

و لو بسطنا القول على مسائل هذا العلم الشريف و احوال اهله لا تسعه
المجلدات فاحتصرنا على بيان هذه المسألة التي هي من امهات مسائله و عني نزر قليل
من توابعها لكونها مشأ الاعتراضات الواردة بحسب الظاهر على القائلين بها فليقس
غيرها عليها في الاحقية و من اراد الاطلاع فليفحص بقبول و اذعان و انصاف من
الكتب المدونة في ذلك يقضي وطره و يقف على البيان الشافي و يسلم للقوم علومهم
ان كان من المهتدين و الآفیرد الى اسفل سافلين و من لم يجعل الله نورا فما له من نور

و اى الله المرجع في كل الامور و لحتم كلاما بوصية ذكرها سيدي الشيخ الاكبر في
ضمن وصايا القول من كتاب الوصايا و هو آخر ابواب الفتوحات المكية نقوله قال
عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها حلال المكارم عشر تكون في الرجل و لا تكون في
ابنه و تكون في العبد و لا تكون في سيده صدق الحديث و صدق الناس و اعطاء
السائل و المكافأة بالصائع و التدمع للحار و مراعاة حق الصاحب و صلة الرحم و
قرى الضيف و اداء الأمانة و رأسهن الحيا نسأل الله الكريم المان ان يخلقها و بكل
خلق سني و يحبنا شرور انفسنا و كل خلق دني و برزقنا العمور و العافية في الدين و
الدنيا و الآخرة و لوالديا و مشايخا و اولادنا و اهليا و المسلمين اجمعين آمين جمعها
الفقيه اليه تعالى مصطفى بن احمد بن حسن الشطبي الحنبلي مدها و الاتري مشرنا
تجاوز الله تعالى عنه و عن المسلمين آمين

٢

إن ناشر كتب دار الحقيقة للنشر والطباعة - هو المرحوم حسين حلمي
ايتيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ [١٩١١ م] منطقة -أيوب
سلطان إستانبول وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصفا من العربية وأربع
وعشرون مصفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار
الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا
وإلى لغات أخرى بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في -دار
الحقيقة للنشر والطباعة- وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد
تلمذ للعلامة البحر الفهامة الولي الكامل المكمل دي المعارف والخوارق
والكرامات عالي السبب السيد عبد الحكم الأرواسي عليه رحمة البارئ وأحد مه
وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد سبى بداء ربه المتعال وبقي لنة ٢٥ على
٢٦/١٠/٢٠٠١ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثني وعشرين
وأربعمائه وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقره أيوب سلطان نعمه الله
برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين.

فهرست الفجر الصادق

الموضوع	رقم الصفحة
فاتحة الكتاب، افتراق الامة فرقا شتى وبيان أن الفرقة الناجية منها هي التي اتبعت كتاب الله وسنة رسوله و ان الفرقة الوهابية من اضل الفرق المارقة	٤.....
يلدز و هو يتضمن الدعاء لحضرة أمير المؤمنين، و خليفة رسول رب العالمين، الذي قر في هذا القصر المنيف بالاحلال، و تبوأه بالاقبال	٥.....
الامامة الكبرى و تعريفها	٦.....
ايراد بعض دلائل عقلية تكفل رد من اشترط لها شروطا لم تأت بها الشريعة	٦.....
ايراد دلائل نقلية تبطل رأي القائلين بخلاف ذلك، طاعة اولي الامر	٧.....
وجوب نصب الامام و ايراد ما يثبت ذلك عقلا و نقلا، وجوب طاعة الامام واثبات ذلك بالدلائل العقلية وبيان ما في طاعته من السياسة الدينية والدنيوية	٨.....
وجوب طاعة الامام و اثبات ذلك بالدلائل النقلية من القرآن و السنة و رد ما يورده المخالفون اثباتا لباطل رأيهم	٨.....
الخليفة الاعظم (أيده الله) و الدعاء لجلالته نظما و نثرا	١٠.....
بيان مآثره الجليلة	١١.....
منها بناء المساجد و تشييد معالم الدين، منها تأسيس المستشفيات لنفوي الأمراض والعاهات من الغرباء والفقراء و تشييد الملاجئ للمساكين والارامل والعاجزين	١٢.....
منها احياء معالم العلم بتوفير مدارس و تكثير مفاخره	١٢.....
منها توسيع نطاق التجارة بتكثير مواردها، و توفير مصادرها، و تعميم الزراعة و تأمين الطرق	١٢.....
منها اعداد العدد لكفاح المعادين و تجهيز الجنود و إكمال كل يستدعيه الامر لذلك من القوة البرية و البحرية	١٣.....
منها مد الخطوط الحديدية سيما الخط الحجازي الحميدي الذي شرع عمده الى بيت الله الحرام	١٣.....
نحزي معاديه و بيان ان الفرقة الوهابية مخذولة في كل مكان و زمان	١٤.....
الوهابية و منشؤها، ابتداء أمر محمد بن عبد الوهاب و ترجمته	١٥.....
اخبار النبي صلى الله عليه و سلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة	١٨.....

الموضوع	رقم الصفحة
قبائح ابن عبد الوهاب و اتباعه	١٩
الوهابية وحديث بغيتها، تمرد ابن صباح	٢٠
اهتمام الدولة العلية بكبح جماح الطائشين من الطائفة الوهابية في نجد و إرساها كتيبة من جنودها الى ذلك الصقع تنكيلا لهم	٢١
عقيدة الوهابية، غرض ابن عبد الوهاب من تكفير المسلمين	٢١
خلاصة ما تمذهب به الوهابية، تحسيم الوهابية	٢٣
تزييف ما ذهب اليه الوهابية في تحقيقها معنى الجسم	٢٤
نفي أن يكون الله تعالى جسما يرى أو يحل في مكان	٢٥
الوهابية و نبذها للعقل	٢٦
بيان أن العقل مقدم على النقل لكونه أصلا له	٢٦
تأويل النقول التي يدل ظاهرها على أن الله جسم تعالى عما يقول الجاهلون	٢٧
الوهابية و نفيها للاجماع	٢٧
تعريف الاجماع و بيان أنه يجب أن يعتقد في كل عصر	٢٨
متمسك المنكرين للاجماع و الرد عليه	٢٩
بيان أن الاجماع حجة، الوهابية و نفيها القياس	٣٠
تعريف القياس، بيان أن القياس حجة	٣١
الوهابية و تكفيرها من قلد المجتهدين	٣٢
بيان الغرض الذي لاجله أنكرت الوهابية صحة اجتهاد المجتهدين السابقين	٣٢
بيان شروط الاجتهاد التي لم يحز شيئا منها ابن عبد الوهاب	٣٣
بيان أن تقليد المسلمين لمجتهديهم أمر ضروري للدين	٣٤
الوهابية و تكفيرها المسلمين	٣٤
بيان أن الوهابية جعلت تكفير المسلمين ذريعة لبث دينها الجديد	٣٤
بيان أن الوهابية جعلت بلاد المسلمين بلاد حرب	
فهدرت دماءهم و حللت أمواهم	٣٤
بيان أن تكفير المسلم أمر غير هين	٣٥
بيان مذهب الخوارج وأن الصحابة والتابعين لم يكفروهم مع ما كانوا عليه	٣٥

- ٣٥..... بيان مذهب القدريّة، بيان مذهب المعتزلة
- ٣٦..... بيان مذهب المرجئة، و الجهمية، و الرافضة
- بيان أن مذهب السلف الذي تستر به الوهابية
- ٣٧..... هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين
- بيان أن الاجماع منعقد على أن المقر بما جاء به الرسول لا يكفر
- ٣٧..... و ان كانت فيه حصلة من الكفر أو الشرك حتى تقام عليه الحجة
- بيان أن الكفر انما يكون بانكار ضروريات الدين كوجود الباري
- و وحدانيته و انكار الرّسالة أو الفرائض
- ٣٧..... الوهابية و نفيها التوسل
- تكفير الوهابية للمسلمين بسبب توسلهم الى الله تعالى بأنبيائه و الصالحين،
- ٣٨..... و نسبتهم في ذلك الى الشرك الاكبر
- حل الوهابية الآيات النازلة في المشركين على الموحدين
- من أمة محمد صلى الله عليه و سلم
- ٣٩..... الجواب على ما استدلت به الوهابية في نفي التوسل
- ٣٩..... شبهة الوهابية في جعلها المسلمين كالمشركين و أجوبتنا عليها
- بيان أنواع الشرك و الشرك الذي جعلته الوهابية اصلا لشرك المتوسل
- من تلك الانواع، بيان الامر الذي حل الجاهلية على شركها
- ٣٩..... توضيح الفرق بين مشركي الجاهلية ومن زعمت الوهابية انهم مثلهم من المسلمين
- ٤٠..... الرد الوافي على ما قالته الوهابية من أن الاستغاثة هي الدعاء والدعاء هو العبادة
- ٤١..... بيان ما للدعاء من المعاني و أنه ليس بمعنى العبادة فقط
- ٤٢..... التوسل و أدلة جوازه، بيان المراد من الاستغاثة بالانبياء
- ٤٣..... بيان معنى الوسيلة و ردّ ما زعمته الوهابية من أنها خاصة بالافعال
- ٤٣..... الاستدلال على جواز التوسل بالآيات القرآنية
- ٤٣..... تحقيق الكلام في قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا)
- ٤٥..... الاستدلال على جواز التوسل بما ورد من الاحاديث النبوية
- ٤٥..... بيان أن لا فرق في التوسل بالانبياء و الصالحين أحياء كانوا أو أمواتا
- ٤٨.....

- بيان أن معظم الأمة أجمعوا على جواز التوسل به
- صلى الله عليه و سلم و بغيره من الصحابة..... ٤٨
- شبهة الوهابية في تكفير من استغاث أو نادى غائبا و ابطاها..... ٤٩
- استدلال الوهابية بما ذكره الفقهاء في شرائط النكاح و الرد على ذلك..... ٥٠
- الرد على الوهابية في تكفيرها من نادى غير الله تعالى و تحرير المرام في ذلك..... ٥٠
- رد ما قائلته الوهابية من أن الظاهر من نداء أحد لغير الله تعالى أنه يعتقد فيه علما محيطا و قدرة بالغة الى غير ذلك..... ٥١
- الوهابية و تكفيرها من زار القبور..... ٥١
- بيان ما لوائري القبور من المقاصد بزيارتها..... ٥٢
- بيان شد الرحال الى زيارة القبور واختلاف العلماء في ذلك وذكر أدلة الطرفين..... ٥٢
- بيان كون الاموات يسمعون و تحقيق القول في ذلك..... ٥٣
- استدلال الوهابية على عدم سماع الموتى بقوله تعالى (و ما انت بمسمع من في القبور) وقوله تعالى (انك لا تسمع الموتى) والرد على ما استدلت به..... ٥٥
- بيان أن في الآيتين السابقتين مخرجا ثانيا غير الاول..... ٥٦
- رد ما أجابت به الوهابية عن حديث القلب..... ٥٦
- رد ما قائلته الوهابية من أن الغرض من تكليم النبي للموتى هو وعظ الاحياء..... ٥٧
- ابطال ما ادعته الوهابية من ان النبي اثما كلم الموتى اعتقادا منه انهم يسمعون فترلت الآيتان تصحيحا لاعتقاده..... ٥٧
- استدلال الوهابية على عدم سماع الموتى بقول العلماء (ان من علق طلاق زوجته بتكليم رجل ثم كلمه ميتا لا يقع طلاقه) والرد على ذلك..... ٥٧
- الوهابية و تكفيرها الخالف بغير الله، و النادر و الذابح..... ٥٨
- بيان ان الوهابية تستعين بدولة الكفر على قهر المسلمين و حرهم و تنخذها وسيلة لغرضها و هي تكفر من يتوسل بالنبي الى الله تعالى..... ٥٨
- بيان ان مرتكب الحلف بغير الله لا يخرج عن الاسلام و انه هو و النذر و الذبح لغير الله ليس الا من المحرمات لا المكفرات..... ٥٩